رحلة حزينة إلى عالم الأموات

تاليف الشيخ
محمود عبد الملك الزغبى

مكتبة الايمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت : ٢٢٥٧٨٨٢

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ الله فلا مضل له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادى له، الحمد لله الذى رفع السماء بلا عمد، وخلق الأرض على ماء جمد:

عجبت للأرض تعطى الخير أهليها … من ذا الذى يجبرها على إتيان مافيها؟
عجبت للسماء من الذى رفعها … ومــــن السـقـوط يـحـمـيـهــا؟
عجبت للجبال الشم الراسيات من الذى … ثبتها ومن فى الأرض يرسيها؟
عجبت للحية اللقطاء مسكنها … بين الصخر ولاماء بين الصخر يرويها

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق الموت والحياة، وخلق الكون بما فيه وخلق الشمس والقمر، وخلق النجم والشجر، وخلق الليل والنهار، وخلق البحار والأنهار.

تحكى عن المختار فى خلواته … فى الغـــار يقدح فكره حيرانا
ما الكون - ماسر الوجود ومن ترى … قد أبدع الأكوان والإنسانا؟
هذى الجبال شم فـــى جو الفلا … من حَطَّها مـــن أحـــكم الميزانا؟
والقمر والشمس المضيئة فى الضحى … من صـــاغها دفئًا لنـــا وهـــدانا؟
والليل قد أوخى ستره فمن ذا الذى … أرخى الظلام وأسدل الجدرانا؟
هل هذه الأصنام التى صُفَّت كالدُّمى … وتعـــددت وتنـــوعت ألـــوانا
هى رب هذا الكون؟ تلك سخافة … اخـــذت بلـــب عقولهم أزمانا
الله خَـــلاَّقُ الوجـــود وهـــذى … آى الكتـــاب تسلسلت قـــرآنا

وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا وقائدنا وقدوتنا محمدًا عبده ورسوله - صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وبعد:

أيها الناس: إن الآمال تطوى، والأعمار تفنى، والأبدان تحت التراب تبلى، وإن الليل والنهار يتراكضان كركض البرية، يقربان كل بعيد، ويبليان كل جديد، وفى كل ذلك عباد الله - ما ألهى عن الشهوات، وسلى عن اللذات، ورغب فى الأعمال الباقيات الصالحات.

يا نفس توبى فإن الموت قد حانا ... واعْصِى الهوى فالهوى ما زال فتّانا

فى كل يوم لنا ميّتٌ نشيعه ... ننسى بمصرعه آثار موتانا

ومن أجل ذلك قمت بتأليف هذه الرسالة تحت عنوان:

رحلة حزينة إلى عالم الأموات

عَلَّ الله أن ينفع بها.

والله أسأل أن يجعل عملى هذا خالصاً لوجهه الكريم،

وأن يجعله فى ميزان حسناتى يوم القيامة.

المؤلف . الشيخ

محمود عبد الملك الزغبى

المنصورة.

ذم الدنيا والزهد فيها

قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(1).

وقال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً (٤٥) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾(2).

وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾(3).

وقال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ . حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ . كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ . كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾(4).

وقال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾(5).

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(6).

---

(١) سورة يونس الآية (٢٤).
(٢) سورة الكهف: الآية (٤٥، ٤٦).
(٣) سورة آل عمران: الآية (١٤).
(٤) سورة التكاثر: الآية (١ـ ٥).
(٥) سورة العنكبوت: الآية (٦٤).
(٦) سورة آل عمران: الآية (١٨٥).

يقول ابن كثير: يخبر تعالى إخباراً عاماً يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت كقوله تعالى: ﴿كل منْ عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ فهو تعالى وحده الحى الذى لا يموت، والجن والإنس يموتون، وكذلك الملائكة وحملة العرش، وينفرد الواحد القهار بالديمومة والبقاء، فيكون آخراً كما كان أولاً، وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس، فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت، فإذا انقضت المدة وفرغت النطفة التى قدر الله وجودها من صلب آدم وانتهت البرية، أقام الله القيامة وجازى الخلائق بأعمالها جليلها وحقيرها، كثيرها وقليلها، كبيرها وصغيرها، لا يظلم أحداً مثقال ذرة.

واعلم يا أخى أن الفناء على الدنيا مكتوب وانظر إلى هذا الموقف الذى نقله صاحب المصابيح:

روى أن ملكاً بنى مدينة واحكمها وزخرفها وأمر بجميع الناس ينظرون إليها وأوقف جماعة على بابها يسألون كل من يخرج عن حسنها فيقولون: لم نَرَ مثلها ويمدحون إلا ثلاثة أشخاص فقالوا: وجدنا فيها عيبين فقيل وما هما؟ قالوا: خرابها وموت صاحبها. فقالوا: وما الذى لا يخرب ولا يموت صاحبه؟ قالوا: الآخرة لا تخرب ولا يموت أهلها فلا ينبغى التعمق إلا فى زخرفتها لا فى زخرفة.ما يفنى فلما سمع الملك ذلك تخلى عن الملك وتعبد معهم[1].

قال على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ: من جمع فيه ست خصال، لم يدع للجنة مطلباً، ولا على النار مهرباً: أولها: من عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها.

وقال الحسن: رحم الله أقواماً كانت الدنيا عندهم وديعة، فأدوها إلى من ائتمنهم عليها، ثم راحوا خفافاً. وقال أيضاً ـ رحمه الله ـ: من نافسك فى دينك فنافسه، ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره.

وقال لقمان عليه السلام لابنه: يا بنى، إن الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيه ناس كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عَزَّ وجَلَّ، وحشوها الإيمان بالله تعالى، وشراعها التوكل على الله عَزَّ وجَلَّ، لعلك تنجو وما أراك ناجياً.

(١) انظر: المصابيح [١/ ٩٢].

وقيل لبعض الرهبان: كيف ترى الدهر؟ قال: يخلق الأبدان، ويجدد الآمال، ويقرب المنية، ويبعد الأمنية. قيل: فما حال أهله؟ قال: من ظفر به تعب، ومن فاته نصب . . . وفى ذلك قيل:

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره   فسوف لعمرى عن قليل يلومها

إذا أدبرت كانت على المرء حسرة   وإن أقبلت كانت كثيراً همومها[1]

وعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى. فقال: «كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» وكان ابن عمر - رضى الله عنهما - يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك»[2].

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا ابن آدم اعمل كأنك ترى، وعُدَّ نفسك مع الموتى، وإياك ودعوة المظلوم»[3].

وقال بعض الحكماء: كانت الدنيا ولم أكن فيها تذهب الدنيا ولا أكون فيها، فلا أسكن إليها، فإن عيشها نكد وصفوها كدر، وأهلها منها على وجل، إما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية.

وقال بعضهم: من عيب الدنيا لا تعطى لأحد ما يستحق لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص.

وصدق القائل:

هى الدنيا تقول بملء فيهـــا   حذارى حذارى من بطشى ومن فتكى

فــلا يغررك منى ابتســـام   فقولى مضحك والفعـــل مبكـــى

وقيل:

يا خـــاطب الدنيـا إلى نفسها   تنـــح عـــن خـــطبتها تسلـــم

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» [٣/ ١٦٤ - ١٦٦] بتحقيق الحافظ العراقى - رحمه الله.

(٢) الحديث صحيح.: أخرجه البخارى [١١/ ١٩٥] وأبو نعيم فى الحلية [٣/ ٣٠١].

(٣) الحديث صحيح: أخرجه الإمام أحمد فى مسنده [٢/ ٣٤٣] وقال الشيخ الألبانى: هذا إسناد حسن بشواهده. وراجع السلسلة الصحيحة برقم [١١٥٧].

إن التى تخطـــب غـــدارة قريبة العـــرس مـــن المأتـــم

وقيل أيضاً:

يا راقـــد الليل مسروراً بأوله إن الحـــوادث قـــد يطرقـن أسماراً

أفنى القرون التى كـــانت منعمة كـــرُّ الجـــديدين إقبـــالاً وإدباراً

كم قد أبادت صروف الدهر من ملك قد كـــان فـــى الدهر نفاعاً وضراراً

إخوانى: سار المتقون ورجعنا ووصلوا وانقطعنا وأصابوا وامتنعنا ونجوا من الإشراك ووقعنا.

تعالوا ننظر فى آثارهم وندرس دارس أخبارهم ونبكى على ما نابنا ونندب على ما لحقنا وأصابنا.

روى أن رجلاً من بنى إسرائيل أتى عيسى عليه السلام وقال له: يا نبى الله هل أتبعك فى رحلتى هذه؟ فأجابه عيسى: نعم.

فأخذ ثلاث أرغفة ومضيا فى رحلتيهما حتى أتيا فى مكان بجوار بحركى يستريحا فأكلا رغيفين وبقى رغيف، فقام عيسى عليه السلام يغسل يديه فى الماء ثم رجع فلم يجد الرغيف الثالث.

فسأل الرجل: أين الرغيف الثالث؟! فقال الرجل: لا أدرى. فمضى عيسى على الماء يمشى بإذن الله، وقال له: بحق الذى أمشانى على الماء، من أكل الرغيف الثالث؟ قال: لا أدرى.

فأخذه عيسى عليه السلام إلى مغارة فى جبل ثم صنع ثلاثة أكوام من الرمل ثم صيرهن ذهباً بإذن الله. فسأل الرجل: لمن هذا؟ فقال عيسى عليه السلام: لى كوم ولك كوم. فقال الرجل: ولمن الكوم الثالث؟ فقال عيسى عليه السلام: للذى أكل الرغيف الثالث. فقال الرجل: أنا الذى أكلت الرغيف الثالث.

فقال عيسى عليه السلام: خذهم جميعاً ثم تركه عيسى عليه السلام.

فمر عليه ثلاثة من قطاع الطرق، فشاهدوا الذهب. فقالوا له: إمَّا أن نقتسم وإمَّا أن نقتلك، فقال الرجل: بل نقتسم، بشرط أن يذهب أحدكم فيأتى لنا بأشهى الطعام. فوافقوا، وذهب أحدهم كى يأتى بالطعام، وبقى اثنان مع الرجل.

فقال لهما الرجل. نحن الآن ثلاثة يأخذ كل منا كوماً كاملاً، ولكى يكون هذا ننتظر دخول الذى يأتى بالطعام نضرب عنقه بالسيف، ويأخذ كل منّا كوماً كاملاً.
وقال الذى ذهب كى يأتى بالطعام فى نفسه: لماذا لا أحصل على الذهب كله؟ أنا أضع لهم السم فى الطعام فيأكلوه فيموتوا جميعاً وآخذ الذهب كله. ثم أحضر الطعام ووضع السم فيه وذهب إليهم، وبمجرد أن دخل المغارة أطاحوا بعنقه، وبمجرد أن أكلوا الطعام المسموم حتى ماتوا جميعاً.

فأتى عيسى عليه السلام بطلابه وقال لهم: انظروا هذه هى الدنيا فاحذروها، مات الرجال وبقى الذهب، ولا يرث الأرض ومنْ عليها إلا الله[1].

وعن مُطرف عن أبيه قال: أتيتُ النبى ﷺ وهو يقرأ: ﴿ألهاكم التكاثر﴾ قال، «يقول ابن آدم: مالى مالى قال: وهل لك من مالك يا ابن آدم إلاما أكلت فأفنيت أو ما لبست فأبليت أو ماتصدقت فأمضيت»[2].

وقال أبو سليمان الدارانى: من طلب الدنيا على المحبة لها، لم يُعط منها شىء إلا أراد أكثر وليس لهذا غاية.

وقال رجل لأبى حاتم: أشكو إليك حب الدنيا، وليست لى بدار، فقال: انظر ما آتاك الله عزّ وجلّ منها، فلا تأخذه إلا من حله، ولا تضعه إلا فى حقه، ولا يضرك حب الدنيا وإنما قال هذا، لأنه لو أخذ نفسه بذلك لأتعبه، حتى يتبرم بالدنيا، ويطلب الخروج منها.

قال ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ:ـ ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية. فالضيف مرتحل، والعارية مردودة، وفى ذلك قيل:ـ

وما المال والأهلون إلا ودائع ولابد يوماً أن ترد الودائع

---

(١) وهذا خبر إسرائيلى، وقال الحافظ ابن كثير: وهذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد وهى على ثلاثة أقسام: أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا فذاك صحيح. الثانى: ما علمنا كذبه مما يخالفه فلا نقبله. الثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته لما تقدم.
انظر تفسير ابن كثير [١/ ٤، ٥] ط. دار الغد العربى. ويقول العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله: لكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد ولا للاعتقاد. انظر مقدمة فى أصول التفسير [ص/ ٤١، ٤٢].

(٢) الحديث، صحيح: أخرجه مسلم فى صحيحه [٤/ ٢٢٧٣] كتاب الزهد..[٥٣] [٣/٢٩٥٨]، ووالد مطرّف هو: عبد الله بن الشخير ـ رضى الله عنه.

وروى أن الدنيا تأتى على هيئة عجوز شمطاء قمطاء، يوم القيامة، وتقذف فى النار، فتقول: يا رب.. أشياعى وأتباعى قال وهو أعلم: من أشياعك وأتباعك؟ فتقول: الجبارون والمتكبرون، فيؤخذ لهم فيقذفون فى النار.

ويقول ابن بسام:

أفٍّ لدنيـــــا ولأيامها	فإنها للحـــزن مخلوقة
غمومها لا تنقضى ساعة	عن ملك فيها ولا سوقة
يا عجباً منها ومن شأنها	عــــدوة للناس معشوقة

وخطب عمر بن العزيز - رضى الله عنه فقال: أيها الناس إنكم خلقتم لأمر؛ إن كنتم تصدقون به فإنكم حمقى، وإن كنتم تكذبون به فإنكم هلكى، فما خلقتم للأبد ولكنكم من دار تنتقلون، عباد الله إنكم فى دار لكم فيها من طعامكم غصص، ومن شرابكم شرق، لا تصفو لكم نعمة تسرون بها إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها فاعلموا لما أنتم صائرون إليه، وخالدون فيه، ثم غلبه البكاء ونزل[1].

قال مطرف بن الشخير: لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر إلى سرعة طعنهم وسوء منقلبهم. وقال ابن عباس: إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء. جزء للمؤمن، وجزء للمنافق، وجزء للكافر، فالمؤمن يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع[2].

انظر يا أخى إلى تلك الموعظة وما فيها للعبر.

حكى ابن الجوزى فى التبصرة وكذا صاحب المصابيح: أنه جاء رجل إلى بعض السلف وهو يأكل طعاماً فقال له مات أخوك، فقال له الرجل: قد علمت اجلس فكل فقال: ما سبقنى غيرى فمنْ أعلمك؟ قال: قوله تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾.

وصدق القائل:

---

(١) انظر «أهوال القبور» [ص/ ٣١- ٣٢]محمد عبد الملك الزغبى. ط. مكتبة الإيمان.

(٢) انظر المرجع السابق وكذلك «عدة الصابرين» بتحقيق محمد عبد الملك الزغبى. ط. دار المنار - فياض.

لا تحزنن على الدنيا وما فيها — فالموت لا شك يفنينا ويفنيها
وكل نفس لها رسل من الأملاك تصحبها — عند الصباح ولها رسل تمسيها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها — ودورنا لخراب الدهر نبنيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها — إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه — وإن بناها بشر خاب بانيها
والنفس ترغب فى الدنيا وقد علمت — أن الزهادة فيها ترك ما فيها
فاغرس أصول التقى ما دمت مقتدرا — واعلم بأنك بعد الموت جانيها
واعمل لدار البقا رضوان خازنها — والمصطفى جارها والحق بانيها

قال لقمان لابنه: يا بنى، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعاً.

وقال أبو الدرداء: من هوان الدنيا على الله أنه لا يعص إلا فيها،ولا ينال ما عنده إلا بتركها.

روى أن أخوين كانا يتقاتلان على جدار بينهما، فأوقع الله لبنة من الجدار، وأنطقها بإذنه تعالى فقالت: فيما تتقاتلان ولم؟ ولقد كنت ملكاً صاحب القصور والدور، ولكنى لما مت صرت تراباً، فأخذنى الخزاف وصنعنى خزفة، واشترتها امرأة، فوقعت منها فانكسرت فصارت رماداً - أى صرت رماداً. فأخذنى البناء يبنى الجدار لكما وجعلنى لبنة فى هذا الجدار فاتعظ الأخوان[1].

ويقول ﷺ: «ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»[2].

---

(١) انظر «التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة» [ص/ ٢٤] وكذا «أهوال القبور» [ص/٤٧] للشيخ/ محمد عبد الملك الزغبى.

(٢) الحديث، ضعيف: أخرجه ابن ماجه فى السنن [٢/ ١٣٧٣، ١٣٧٤] كتاب الزهد [٣٧]ح [٤١٠٢]. والعقيلى فى «الضعفاء الكبير» [٢/ ١١] ضمن ترجمة خالد بن عمرو الأموى [٤١٣] والطبرانى فى «الكبير» [٦/ ٢٣٧] «ح» [٥٩٧٢] وابن عدى فى الكامل [٢/ ٩٠٢] ضمن ترجمة خالد بن عمرو القرشى. والحاكم فى «المستدرك» [٤/ ٣١٣] وأبونعيم فى الحلية [٣/ ٢٥٣] ضمن ترجمة سلمة بن دينار [٢٤٠] والتبريزى فى «المشكاة» [٣/ ١٤٣٣] وعزاه للترمزى ولابن ماجه، ولكن عزوه للترمذى غير سديد. ويقول القارى: قال ميرك: أظن أن ذكر الترمذى وقع سهواً من الناسخ. انظر المرقاة [٥/ ٣٣] فى إسناده: خالد بن عمرو القرشى: ضعيف. قال العقيلى. ليس له أصل من حديث الثورى. وقال =

وقال الفضيل: لو أن الدنيا بحزافيرها عرضت علىَّ حلالاً، لا أحاسب عليها فى الآخرة لكنت أتقذرها، كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه.

وجاء فى شرح الأربعين النووية بقلم الشيخ أحمد حجازى الفشنى [ص/١٩] قال: روى عن عبد الواحد بن زيد قال: مررت فى بعض الجبال بشيخ أصم أعمى مقطوع اليدين والرجلين ضربه الفالج يصرعه فى كل وقت، والزنابير تنهش من لحمه والدود يتناثر من جنبيه وهو يقول: الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيراً من خلقه. قال فتقدمت إليه وقلت: يا أخى وأى شىء عافاك الله منه والله ما أجد جميع البلايا إلا محيطة بك؟ قال: فرفع طرفه إلىّ وقال لى: يا بطال إليكَ عنى فإنه عافانى إذ أطلق لى لساناً يوحده وقلباً يعرفه وفى كل لحظة يذكره وأنشد:

حمدت الله ربى إذ هدانى . إلى الإسلام والدين الحـنيف

فيذكره لسانى كل وقـت ويعرفه فـؤادى باللطـــيف

وقال عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ وهو على المنبر: والله ما رأيت قوماً قط أرغب فيما كان رسول الله ﷺ يزهد فيه منكم. والله ما مر برسول الله ﷺ ثلاث إلا والذى عليه أكثر من الذى له.

وقال الحسن بعد تلاوة قوله تعالى: ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾: من قال ذا؟ قاله: منْ خلقها، ومنْ هو أعلم بها؟ إياكم وما شغل من الدنيا، فإن الدنيا كثيرة الأشغال، لا يفتح رجل على نفسه باب شغل، إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب. وقال أيضاً: مسكين ابن آدم، رضى بدار حلالها حساب، وحرامها عذاب، إن أخذه من حله حوسب به، وإن أخذه من حرام عذب به. ابن آدم يستقبل ماله، ولا يستقبل عمله، يفرح بمصيبته فى دينه ويجزع من مصيبته فى دنياه[1].

روى عن أحد الصالحين وكان عالماً عاملاً نقياً ورعاً، وكان طلاب العلم من الرجال والشباب يشدون الرحال إليه طلباً لعلمه، وذات يوم نام بعد القيلولة،

= البخارى. منكر الحديث.. وراجع «ميزان الاعتدال»[١٥٨ـ ١٦٠] برقم [٢٤٤٧] وفى التهذيب [١٠٩/٣] وحسنه الشيخ العلامة الألبانى. وراجع صحيح الجامع [٩٢٢] والصحيحة برقم [٩٤٤] وأنا لا أرى أن الحديث يرتقى لدرجة الحسن بل الحديث ضعيف. والله أعلم. وراجع «التوابين» [ص/١٢٦] بتحقيقى ط. دار المنار ـ فياض.

(١) انظر «القبر يتكلم» للداعية الإسلامى/ محمد عبد الملك الزغبى ـ حفظه الله.

فرأى الرسول ﷺ فى منامه يبشره بلقاء الله فى الليل - أى الموت - فقام من نومه يستغفر الله، ويبكى ويتضرع إلى الله من ذنوبه، وغربت الشمس وقلق طلاب العلم عليه، فاتجهوا إلى بيته، وجلسوا فى الطرقات والشوارع، وأرخى الليل سدوله فنادى على ابنته الصغيرة، وقال لها: أين أخوك الأصغر؟ قالت: هو نائم يا أبت. فقال لها: أشعلى المصباح، فأشعلته، ثم أتى بفأس، وأخذ يحفر لنفسه قبراً، فلما انتهى من حفره، جلس على شفيره، وأخذ يبكى ويقول لنفسه: من الذى سيأتى إليه ملك الموت قابضاً الليلة؟ من الذى سيغسله الرجال ويكفنوه فى أثواب من قماش؟ من الذى سيحمله الرجال على الأعناق بعد أن كان حاملاً؟ من الذى ينتظره القبر المظلم وينادى عليه؟ من الذى سيكون الدود أنيسه، والأرض سريره، والتراب لحافه، والحجر وسادته؟ من الذى سينقطع عنه الأهل والأخلاء والأحباب؟ وزاده إلى الله قليل.

فبكت ابنته الصغيرة، وقالت له: يا أبت إلى أين أنت ذاهب؟؟ (وكانت زوجته قد ماتت وتركت الطفل والطفلة).

قال: مسافر يا ابنتى إلى مكان بعيد. فقالت الفتاة: أمثل ما سافرت أمى؟ قال: نعم. فصرخت الطفلة قائلة: ومن لليتامى تركتنا يا أبت؟ قال: لله الذى لا يغفل ولا ينام، ثم خر ساقطاً فى قبره ميتاً، فصرخت الفتاة، فدخل الناس وطلاب العلم على الصراخ، ثم قاموا بغسله وتكفينه.

وروى أن الحسن البصرى دخل على مريض يعوده، فوجده فى سكرات الموت، فنظر إلى كربه، وشدة ما نزل به. فرجع إلى أهله، بغير اللون الذى خرج به من عندهم. فقالوا له: الطعام يرحمك الله. فقال: يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم، فو الله لقد رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه[٢].

ويقول ﷺ: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى، وما والاه، وعالماً أو متعلماً»[٣].

وسُئل نوح عليه السلام - فقيل له: يا أطول الأنبياء عمراً كيف وجدت

(١، ٢) أنظر «أهوال القبور» للداعية الإسلامى/ محمد عبد الملك الزغبى - حفظه الله.

(٣) الحديث حسن: أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة مرفوعاً وابن ماجه [٤١١٢] وأبو نعيم فى الحلية [٣/١٥٧] و[٧/ ٩٠] وعزاه العجلونى للطبرانى فى الأوسط عن ابن مسعود. وراجع كشف الخفا =

الدنيا؟ فقال: كدار لها بابان، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر.

وروى أن عيسى عليه السلام قال: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها[١].

روى أحمد فى الزهد: عن نوفل البكالى قال: انطلق رجل مؤمن ورجل كافر يصيدان السمك فجعل الكافر يلقى شبكته ويذكر آلهته فتمتلئ ويلقى المؤمن ويذكر الله ولا يصطاد شيئاً قال ففعلا ذلك إلى مغيب الشمس.

ثم إن المؤمن اصطاد سمكة فأخذها بيده فاضطرب فوقعت فى الماء فرجع المؤمن وليس معه شىء ورجع الكافر وقد امتلأت سفينته.

قال الله عز وجل لملك المؤمن: تعال، فأراه مسكن المؤمن فى الجنة قال ما يضر عبدى هذا المؤمن ما أصابه بعد أن يصير إلى هذا؟ وأراه مسكن الكافر فى النار فقال: هل يغنى عنه من شىء أصابه فى الدنيا؟ قال لا والله يا رب[٢].

يا مسكين أنفقت مالك فى بنيان الدور، وتشييد القصور، ونسيت الموت والتحول إلى ظلمة القبور ثاويا فيها إلى يوم النشور. وأنشدوا:

ألا للخـــــراب بنى العامرونا	وللمـــوت مـــا ولـــد الوالدونا
وعمـــــا قليل يـــــرى الآخرون	عجـائب ما قد رأى الأولون
ويشفى أناس بمـــــا جـــــمعوا	ويسعـــد بالقـــلة الزاهـــدونا
ولا يرحــــمون إذا ما بكوا	ولا يرتجـــى الرحـــمة الظالمونا
ويسأل قـــوم هناك الجـــوع	فلا يرجـــعون ولا يكـــرمونا

اعلم أن المنية خير من الحياة الدنية، يا ابن آدم الوأد والله تحت التراب، خير لمعصيتك لرب الأرباب[٣].

= [١/٤٩٦] وفى «كنز العمال» [٦٠٨٣، ٦٠٨٤، ٦٠٨٧] والسيوطى فى «الدر المنثور» [٤/٢٥٦] والمنذرى فى «الترغيب والترهيب» [١/٩٨]. وحسنَّهُ الشيخ الألبانى. وراجع صحيح الجامع برقم [٣٤١٤] وصحيح الترغيب [٧١]. وراجع «عُدَّة الصابرين» بتحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبى، وكذلك «رياض الصالحين» برقم [١٣٨٤] بتحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبى ـ حفظه الله.

(١) انظر «عُدَّة الصابرين» لابن القيم ـ بتحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبى ـ حفظه الله.

(٢) انظر كتاب «الزهد» للإمام أحمد بن حنبل» بتحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبى حفظه الله ـ لم يطبع بعد.

(٣) انظر «بستان الواعظين ورياض السامعين» للعلامة ابن الجوزى: بتحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبى ـ حفظه الله. ط. دار المنار ـ فياض.

وقال أبو بكر الكتانى ـ رحمه الله: كان رجل يحاسب نفسه على سيئاته وخطاياه فحسب يوماً سنينه فوجدها ستين سنة فحسب أيامها فوجدها أحدا وعشرين ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ صرخة وخر مغشياً عليه فلما أفاق قال: يا ويلتاه وأنا آتى ربى بأحد وعشرين ألف ذنب وخمسمائة ذنب يقول هذا لو كان فى كل يوم ذنب واحد فكيف بذنوب لا تحصى ولا تعد؟

ثم قال: آه على عمرت دنياى وخربت آخرتى وعصيت مولاى الوهاب ثم لا أشتهى النقلة من العمران إلى الخراب وكيف أقدم فى يوم الحساب على الكتاب والعذاب وقد عصيت الملك الوهاب وأنشد يقول:

منازل دنيـــاى عمرتهـــــــا وخربت دارى فى الآخرة

فأصبحت أنكر دارى الخراب وأرغب فى دارى العامرة

فلما انتهى من ذلك وقع على الأرض فحركوه فإذا هو قد مات ـ رحمه الله[1].

وروى أنه قدم على معاوية ـ رضى الله عنه ـ رجل من نجران عمره مائتان عام، فسأله عن الدنيا كيف وجدها؟ فقال: سنيات بلاء، وسنيات رخاء، يوم فيوم، وليلة فليلة، يولد مولود ويهلك هالك، فلولا المولود لباد الخلق، ولولا الهالك لضاقت الأرض بمن فيها، فقال له معاوية: سل ما شئت قال: عمرٌ مضى فترده أو أجل حضر فتدفعه. قال معاوية: لا أملك ذلك. فقال الرجل: دعنى فأنا مع مالك الملك.

وقال رجل لعلى بن أبى طالب ـ رضى الله عنه:ـ يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا، قال: وما أصف لك من دار.. من صح فيها سقم، ومن أمن فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها افتتن، فى حلالها حساب وفى حرامها العقاب، وفى متشابهها العتاب.

وقال لقمان لابنه: يابنى إنك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها، واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعدت عنها

---

(١) انظر «الروض» [ص/ ١٧، ١٨] وكذا «إحياء علوم الدين» بتحقيق الحافظ العراقى، وبتعليقه وتحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبى، وكذلك كتاب «الجامع المتين فى شتى فروع الدين» للشيخ الزغبى ـ حفظه الله.

وقال داود الطائى: يابن آدم فرحت ببلوغ أملك، وإنما بلغته بانقضاء أجلك، ثم سوّفت بعملك كأن منفعته لغيرك.

وصدق القائل:

ياخاطب الدنيا إلى نفسها	تنح عن خطبتها تسلـم
إن التى تخطب غـــدارة	قريبة العرس من المأتـم

حكى أن المنصور بن عمار ـ رحمه الله دخل على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: يامنصور مسألة؟ وقد مهلتك سنه كاملة:

من أعقل الناس، ومن أجهل الناس؟

قال فخرج منصور إلى بعض الفضاء من القصر ليخرج فإذا الجواب قد حضره، فرجع إلى عبد الملك، فقال له عبد الملك: يامنصور ما الذى ردك إلينا؟ قال: يا أمير المؤمنين أعقل الناس محسن خائف وأجهل الناس محسن آمن.

فبكى أمير المؤمنين حتى بل ثيابه بدموعه، ثم قال: أحسنت والله يامنصور ثم قال له: اقرأ علىّ شيئاً من كتاب الله فهو الشفاء لما فى الصدور، وهو الدواء والنور. فقرأ أعوذ بالله من الشيطان الرحيم: ﴿يوم تجد كل نفس ماعملت من خيرا محضرا﴾ الآية.

فقال عبد الملك: قتلتنى يامنصور ثم غشى عليه، فلما أفاق قال له: يامنصور مامعنى﴿ويحذركم الله نفسه﴾؟

قال منصور: عقوبته يا أمير المؤمنين.

فبكى عبد الملك ثم أفاق مرة أخرى ثم قال يامنصور ومامعنى قوله ﴿رؤوف بالعباد﴾؟ قال: رحيم غفار لمنْ تاب وأناب. قال: ومامعنى قوله ﴿ماعملت من خير محضراً﴾؟ قال كل صغيرة وكبيرة يجدها العبد يوم القيامة، لم يغفر الله منها شيئاً.

فبكى عبد الملك حتى غشى عليه، فلما أفاق قال:إن والله من فكر فى هذه الآية وعصى مولاه بعد ذلك لقد ضل ضلالاً بعيداً وأنشدوا:

بكيت على عظم الذنوب وغزرها	وما قل من يبكى لعظم سؤاله
تفكر فى عظم السؤال وهوله	وتندب دهرا زاد قبح فعاله
لعل إله العرش يرحم عبده	ويمنحه فى الحشر طول وصاله
ويغفر ماقد كان فى طول جهله	ويسكنه بالعفو دار جلاله
وإن نظر الرب العظيم جلاله	فذاك جسيم من جزيل نواله

ويعقب ابن الجوزى قائلا: ﴿يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا﴾ تجد والله كل نفس ماقدمت فى الأيام، من الطاعات والإجرام، ذلك يوم المصائب ويوم النوائب، ويوم العجائب يوم هتك الأستار، يوم تسعر فيه النار، يوم يفوز فيه الأبرار، ويندم فيه الفجار، ويعرض العباد على الواحد القهار، فالعجب كل العجب ممن قطع عمره فى الأغفال، وضيع أيامه فى المحال، وأفنى شبابه فى الضلال، ولم يعمل بما فى كتاب ذى المجد والجلال، قال الله الكبير المتعال: ﴿يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً﴾.

يقول الله تعالى: يا ابن آدم تطلب موعظة ساعة وتقيم على الذنب سنة؟!! وأنشدوا:

ما بال قلبك باللذات قد شغفا	وعن فوات صواب الفعل ما أسفا
وقد توعده الجبار خالقنا	وبالذنوب وبالعصيان قد كلفا[1].

وقال عيسى عليه السلام: من الذى يبنى على موج البحر داراً، تلكلم الدنيا فلا تتخذوها قراراً.

وقيل لحكيم: الدنيا لمن هى؟؟ قال: لمن تركها، وقيل الآخرة لمن؟ قال: لمن طلبها.

مرموسى عليه السلام برجل وهو يبكى، ورجع وهو يبكى فقال موسى: يارب عبدك يبكى من مخافتك فقال: يا ابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا.

قال على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ: إنما أخشى عليكم اثنتين طول

(١) أنظر: «بستان الواعظين ورياض السامعين» للعلامة ابن الجوزى ـ تحقيق الشيخ محمد عبد الملك الذهبى ـ ط . دار المنار ـ فياض.

الأمل، واتباع الهوى فإن طول الأمل ينسى الآخرة، واتباع الهوى يصد عن الحق، وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، والآخرة مقبلة، ولكل واحد منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولاحساب، وإن غداً حساب ولاعمل.

يعنى أكثروا من العمل فى هذا اليوم فإنكم لا تقدرون غداً على العمل[(١)].

وعن يحيى بن معاذ الرازى قال: الحكمة تهوى من السماء إلى القلوب فلا تسكن فى قلب فيه أربع خصال: الركون إلى الدنيا وهم غد وحسد أخ وحب شرف[(٢)].

وقال أيضا: الدنيا مزرعة رب العالمين، والناس فيها زرعة، والموت منجله، وملك الموت حاصده، والقبر مدارسه والقيامة بيدره والجنة والنار إيواؤه فريق فى الجنة وفريق فى السعير.

وقال الحكيم: أربعة طلبناها فأخطأنا فى طرقها، طلبنا الغنى فى المال فإذا هو فى القناعة، وطلبنا الراحة فى الكثرة فإذا هى فى القلة، وطلبنا الكرامة فى الحلف فإذا هى التقوى، وطلبنا النعمة فى الطعام واللباس فإذا هى فى الستر والإسلام، يعنى فيم يستر الله من العيوب والذنوب[(٣)].

وعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال: خرج رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد أبى ذر فقال: «يا أبا ذر إن بين يديك عقبة كؤوداً لا يصعدها إلا المخفون» قال: يارسول الله ﷺ أنا من المخفين أو من المثقلين؟ قال: «أعندك طعام يومك؟» قال: نعم. قال: «وطعام غد» قال نعم.

قال: «وطعام بعد غد» قال: لا قال: «فلو كان عندك ثلاثة أيام كنت من المثقلين»[(٤)].

---

(١) أنظر «تنبيه الغافلين» [ص/١٧٣ ١٧٥] للسمرقندى ـ رحمه الله ـ تحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبى .ط. دار المنار ـ فياض.

(٢، ٣) انظر: تنبيه الغافلين» [ص/ ١٧٣ ١٧٥] للسمرقندى ـ رحمه الله ـ تحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبى . ط. دار المنار ـ بفاض.

(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط وفى إسناده: جنازة بن مروان قال عنه أبو حاتم: ليس بالقوى. . وراجع «مجمع الزوائد» [١٠/٢٦٣] وقال الذهبى: اتهمه أبو حاتم ـ وراجع «ميزان الاعتدال» [١/٤٢٤] برقم [١٥٧٣].

ويقول ﷺ: «من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا مايبقى على مايفنى»[1].

وصدق القائل:

ويحك يانفس البدار البدار   فما هذه الدار لحى بدار
منزلة والناس سفر وكم   خانهم صرف الليالى وجار
قد نفذ العمر وقل البقا   إلى متى يانفس الاغترار؟
من كان فى الدنيا يرى راحلا   كيف له فيها يقر القرار؟
أم كيف يهنأ العيش فيها لمن   عليه كاسات المنايا تدار؟
ياأيها النائم قم وانتبه   قد فاتك المطلوب والركب سار
إن كنت أذنبت فقم واعتذر   إلى كريم يقبل الاعتذار
وانهض إلى مولى عظيم الرجا   يغفر فى الليل ذنوب النهار

ونقل صاحب الروض [ص/١٩]: أيها الناس إن الآمال تطوى والأعمار تفنى والأبدان تحت التراب تبلى وأن الليل والنهار يتراكضان كركض البريه، يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد وفى كل ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات وسلى عن اللذات ورغب فى الأعمال الباقيات الصالحات.

ويقول ﷺ: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»[2].

ذكر هذه الموعظة الإمام ابن الجوزى تحت عنوان «حكاية عن ذى النون

(١) الحديث ضعيف: أخرجه الحاكم فى المستدرك [٤/٣٠٨] وابن حبان، وذكره الهيثمى فى «موارد الظمآن» [٦١٢] وأحمد فى المسند [٤/٤١٢] وضعفه الشيخ الألبانى، وراجع ضعيف الجامع برقم [٥٣٤٠] والمشكاة برقم [٥١٧٩].

(٢) الحديث ضعيف: جداً. وقال العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله: هذا الحديث موضوع ـ وجزم بأنه من قول جندب البجلى. ورواه البيهقى فى الشعب والديلمى فى مسند الفردوس، وأبو نعيم من قول عيسى ابن مريم عليهما السلام، والإمام أحمد فى الزهد وأما تحسين ابن حجر له ففيه نظر حيث قال: فإن ابن المدينى أثنى على مراسيل الحسن والإسناد حسن إليه، وقال السيوطى: وقد عد الحديث من الموضوعات. وراجع كشف الخفا [١/ ٤١٣] والأسرار المرفوعة [١٠٨، ١٠٩] وضعّفه الشيخ الألبانى وراجع ضعيف الجامع [٢٦٨٢] وانظر عُدَّة الصابرين للعلامة ابن الجوزية ـ تحقيق الشيخ محمد الزغبى ـ حفظه الله.

المصرى»[1].

حكى عن ذى النون المصرى بن إبراهيم الأخميمى ـ رحمه الله ـ أنه قال: خرجت مرة من المرات إلى ناحية الأردن من أرض الشام، فلما علوت الوادى فإذا أنا بسواد عظيم قد أقبل وهو يقول﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ فلما قرب منى السواد إذ هو شخص، فتأملته فإذا هو امرأة عليها جبة صوف وخمار من صوف، وبيدها ركوة وبيدها الأخرى عكاز، فقالت لى غير فازعة منى: من أنت؟!

فقلت لها: رجل غريب، فقالت: ياهذا وهل يوجد غربة مع الله وهو مؤنس الغرباء، ومعين الضعفاء؟ فاجعله أنيسك إذا استوحشت، وهاديك إذا ضللت، وصاحبك إذا احتجت .

قال ذو النون: فبكيت من كلامها، فقالت: مم بكاؤك؟ قلت لها: وقع دواؤك على دائى وأنا أرجو أن يكون سببا لشفائى، قالت: فإن كنت صادقاً فى مقالتك فلم بكيت؟ قلت لها: رحمك الله والصادق لا يبكى؟!! قالت: لا، قلت لها: لم لا يبكى الصادق؟ قالت: لأن البكاء راحة للقلب وملجأ يلجأ إليه، وما كتم القلب أحر من الزفير والشهيق وذلك ضعيف عند أوليائه.

قال ذو النون: فبقيت والله متعجباً من قولها فقالت لى: مالك ؟ قُلتُ: أنا والله متعجب من قولك. قالت: وهل نسيت القرحة التى ذكرتها؟ قال: قلت لها: رحمك الله إن رأيت أن تمنى على الزيادة. فقالت: وما أفادك الحكيم فى مقامك بين يديه من الفوائد ما يستغنى به عن طلب الزوائد، قال: قلت لها: رحمك الله ما أنا بمستغن عن طلب الزوائد، قالت: صدقت يامسكين حب مولاك، واشتق إليه فإن له يوماً يذيق فيه أولياءه كأسا لا يظمأون بعده أبداً.

ثم علا شهيقها ثم قالت: ياحبيب قلبى إلى كم تخلفنى فى دار لا أجد فيها صادقا بريئاً من الدعاوى الكاذبة يسعدنى البكاء على أيام حياتى؟ ثم تركتنى وانحدرت فى الوادى وهى تقول: اللهم إليك لا إلى النار حتى غاب شخصها عن

---

(1) انظر «بستان الواعظين ورياض السامعين» [ص / ١٠٨] بتحقيق الشيخ الزغبى ـ حفظه الله.

بصرى، وانقطع صوتها عن سمعى.

قال ذو النون: فوالله ما ذكرت كلامها قط إلا كدر على أحشائى وعيشى.

قال ذو النون: فلقد أدبتنى واستقام حالى منذ رأيتها وأنشدوا:

أريد وأنت تعلم ما مرادى ... وتعلم ما تلجلج فى فؤادى

فهب لى ذلتى واغفر ذنوبى ... وسامحنى بها يوم التنادى

وصدق القائل:

يارب إن عظمت ذنوبى كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم

إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فبمن يلوذ ويستجير المجرم؟

أدعوك رب كما أمرت تضرعاً ... فإذا رددت يدى فمن ذا يرحم؟

مالى إليك وسيلة إلا الرجا ... وجميل عفوك ثم أنى مسلم

حكى عن محمد بن واسع ـ رحمه الله تعالى ـ أنه ما رآه أحد قط ضاحكاً، أنه كان ليبكى حتى ترحمه الناس فذكر له ذلك فقال: يا أحبائى وكيف يضمك من لا يدرى ما أثبت عليه فى كتابه ولا يدرى بما يختم له؟ اللهم إختم لنا بخير.

وكان رجل يكلم محمد بن واسع فى حاجة فقال له محمد بن واسع: ادن منى فلو كانت للذنوب رائحة لما قدرت أن تدنو منى.

وكان محمد بن واسع إذا جن عليه الليل بكى ويقول فى بكائه: ويلى من ذنوب قد أحصيت، ومن صحيفة قد ملئت وربى قد علم ذلك ولم يَخْفَ عليه من ذلك شىء، فأورثه الله تعالى ببكائه على كتابه، وعلى حيائه من ربه الاستجابة فى الدعاء ونور فى القلب. وأنشدوا:

أرى المشيب بالعذراء قد ألم ... كأن موتى عن قريب قد هجم

خط المشيب أسطرا فى مفرقى ... فراعنى ما خطه وما رقم

هل إلفتى إذا انقضى شبابه ... إلا كزرع هاج سوف ينحطم

شاب الفؤاد قبل شيب لمتى ... واعتادنى ضعف القوى قبل الهرم

وَيْحِي من التوبيخ من ربى غدا من ذلك الأمر الشديد والمستهم

وَيْحِي إذا نادى المنادى بى ألا قم عبد سوء مسرع للعرض قم

وَيْحِي إذا ما قال لى مقررا وحض شيئاً بعد شىء ثم عم

ماقد صنعت فى فروضى والذى قضيت منها هل صفا لى هل سلم؟

فجئت ربى خاسراً قد أثقلت ظهرى ذنوب كالسحاب المرتكم

حكى عن مطرف بن الشخير ـ رحمه الله ـ أنه أرسل رسولا عن عوز ماء وكان فى زمان الحر، فأبطأ عليه الرسول وكان عنده جماعة قد عطشوا وكان معه قليل من الماء، فقام فتوضأ بذلك الماء، ثم صلى ركعتين دعا فيهما مولاه سبحانه فأرسل الله تبارك وتعالى سحابة حتى شرب هو وأصحابه، فقيل له: بم بلغت هذه المنزلة؟! فقال: جعلت كتابى نصب عينى فى ليلى ونهارى حتى كأنى أقرؤه بين يدى ربى جل جلاله.

ونقل ابن الجوزى ـ رحمه الله ـ هذه الرواية حيث قال: قال عبد الواحد بن زيد ـ رحمه الله : كنا عند محمد بن واسع ومعه مالك بن دينار فجاء رجل فكلم مالكا وأغلظ عليه فى الكلام فى قسمة قسمها وقال: وضعتها فى غيرْ حقها، وفضلت بها أهل مجلسك ليكثروا جمعك، ولتصرف وجوه الناس إليك، قال: فبكى مالك بن دينار وقال: ما أردت بهذا الذى تقوله: قال: بلى والله أردته، لما أكثر على مالك الكلام رفع جيب يديه وقال: اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه كيف شئت.

فسقط الرجل ميتاً بإذن الله[1].

وصدق القائل:

من كان يخشى الله جل جلاله فليكثر العبرات فى الخلوات

فلعله بعد التذكر والبكاء بدلت له العبرات بالحسنات

وتخفف الأوزار عن منشوره يوم الحساب وموقف الحسرات

(١) انظر «بستان الواعظين ورياض السامعين» [ص/ ١٢٨] تحقيق: الزغبى. ط. دار المنار ـ فياض.

قالوا: وقد سُئل المسيح عليه السلام عن رجلين مر أحدهما بلبنة ذهب فتخطاها ولم يلتفت إليها ومر بها الآخر فأخذها وتصدق بها. فقال الذى لم يلتفت إليها أفضل ويدل على هذا أن الرسول ﷺ مر بها ولم يلتفت إليها ولو أخذها لأنفقها فى سبيل الله.

إخوانى: لا واعظ كالموت وما تتعظون وهو طالب لكم وأنتم عنه غافلون أتظنون أنكم فى الدنيا مخلدون ولابد من ورود كاس المنون تزودوا للرحيل فقد سارت القافلة ولا تغتروا بزهرة الدنيا فإنها زائلة وإياكم والآمال الباطلة فإن سمومها قاتلة إلى متى أنت مقيم على غفلتك وجهلك إلى متى تغتر بمالك وأهلك إلى متى تؤثر فيك الدنيا الدنية وهى تسعى فى قتلك إلى متى تنسى لحاقك بمن كان من قبلك إلى متى لا يؤثر فيك كثير عقابك وعدلك إلى متى لا تذكر رحيلك عن جميع ماتملك حتى متى لا تفهم المواعظ وقد قبلت من أجلك تيقظ ياغافل فكم لعب الهوى بمثلك؟

روى أن عابداً عبد الله فى غيضة دهراً، فنظر إلى طائر قد عشش فى شجرة يأوى إليها، ويصفر عندها.

فقال: لو حولت مسجدى إلى تلك الشجرة كنت آنس بصوت هذا الطائر، ففعل، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم: قل لفلان العابد: استأنست بمخلوق، لأحطنك درجة لاتنالها بشىء من عملك أبداً.

وقيل لإبراهيم التيمى وهو فى سجن الحجاج: لو دعوت الله تعالى: فقال: أكره أن ادعوه أن يفرج عنى مالى فيه أجر.

وكذلك سعيد بن جبير صبر على أذى الحجاج حتى قتله، وكان مجاب الدعوة، كان لديه ديك يقوم بالليل بصياحة إلى الصلاة فلم يصح ليلة فى وقته فلم يقم سعيد إلى الصلاة، فشق عليه فقال: ماله قطع الله صوته، فما صاح الديك بعد ذلك، فقالت له أمه: يابنى لا تدع بعد هذا على شىء.

ويقول ﷺ لرجل وهو يعظه [1]: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل

---

(1) الحديث حسن: وهو مخرَّج من طريقين: -

الأولى: من رواية عمرو بن ميمون الأودى مرسلاً، أخرجه عبد الله بن المبارك فى «الزهد» [صـ٢/ ح (٢)] والسيوطى فى الجامع الصغير[١٦/٢][١٢١٠]وعزاه لأحمد فى الزهد، وأخرجه الشهاب القضاعى=

هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»[1].

وصدق القائل:

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم	**وكيف يطيف النوم جنان هائم**
فلو كنت يقظان الغداة لخرقت	**مدامع عينيك الدموع السواجم**
بل أصبحت فى النوم الطويل وقد دنت	**إليك أمور مفظعات عظائم**
فلا أنت فى الإيقاظ يقظان حازم	**ولا أنت فى النوام ناج وسالم**

****

- فى «المسند» [١/ ٤٢٥] باب اغتنم خمساً. ح [٧٢٩] من طريق ابن المبارك وعزاه السيوطى فى المصدر نفسه إلى البيهقى فى الشعب، وأخرجه أبو نعيم فى الحلية [٤/١٤٨]، والمزى فى «تحفة الأشراف» [١٣/١٢٨) [١٩١٧٩] وعزاه للنسائى فى الكبرى.

الثانية: من رواية ابن عباس ـ رضى الله عنهما موصولاً ذكره السيوطى أيضاً فى «الجامع الصغير» [٢/١٦]ح [١٢١٠] وعزاه للبيهقى فى الشعب، والحاكم فى «المستدرك» [٤/ ٣٠٦] وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى، والخطيب التبريزى فى المشكاة [٣/ ١٤٣٠] ح [٥١٧٤] وعزاه الترمذى مرسلاً ولكنى لم أجده عند الترمذى وصححه الشيخ الألبانى راجع صحيح الجامع برقم [١٠٧٧].

فصل

فى ذكر أمثلة تبين حقيقة الدنيا

المثال الأول:

لها ولأهلها فى اشتغالهم بنعيمها عن الآخرة،وما يعقبهم من الحسرات، مثل أهلها فى غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم الإبطاء وخوفهم مرور السفينة فتفرقوا فى نواحى الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف المكان خالياً فأخذ أوسع الأماكن وألينها وأوفقها لمراده، ووقف بعضهم فى الجزيرة ينظر إلى أزهارها وأنوارها العجيبة، ويسمع نغمات طيورها، ويعجبه حسن أحجارها ثم حدثته نفسه بفوت السفينة وسرعة مرورها وخطر ذهابها، فلم يصادف إلا مكاناً ضيقاً فجلس فيه، وأكب بعضهم على تلك الأحجار المستحسنة والأزهار الفائقة فحمل منها حمله فلما جاء لم يجد فى السفينة إلا مكاناً ضيقاً وزاده حمله، حنيفاً، فصار محموله ثقلاً عليه ووبالاً، ولم يقدر على نبذه، بل لم يجد من حمله بداً ولم يجد له فى السفينة موضعاً، فحمله على عنقه وندم على أخذه فلم تنفعه الندامة، ثم ذبلت الأزهار وتغيرت رائحتها وآذاه نتنها، وتولغ بعضهم فى تلك الغياض ونسى السفينة وأبعد فى نزهته، حتى أن الملاح نادى بالناس عند دفع السفينة فلم يبلغه صوته لا شتغاله بملاهيه، فهو تارة يتناول من الثمر، وتارة يشم تلك الأزهار، وتارة يعجب من حسن الأشجار، وهو على ذلك خائف من سبع يخرج عليه غير منفك من شوك يتشبث فى ثيابه ويدخل فى قدميه، أو غصن يجرح بدنه، أو عوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته، أوصوت هائل يفزعه.

ثم مِنْ هؤلاء مَنْ لحق السفينة ولم يبق فيها موضع فمات على الساحل، ومنهم من شغله لهوه فافترسته السباع ونهشته الحيات، ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك، فهذا مثال أهل الدنيا فى اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم وعاقبة أمرهم. وما أقبح بالعاقل أن تغره أحجار ونبات يصير هشيماً قد شغل باله وعوقه من نجاته ولم يصحبه.

المثال الثانى:

مثل قوم خرجوا فى سفر بأموالهم وأهليهم فمروا بواد مشعب كثير المياه والفواكه فنزلوا به وضربوا خيامهم وبنوا هنالك الدور والقصور، فمر بهم رجل يعرفون نصحه وصدقه وأمانته، فقال إنى رأيت بعينى هاتين الجيش خلف هذا الوادى وهو قاصدكم، فاتبعونى أسلك بكم على غير طريق العدو فتنجوا منه، فأطاعته طائفة قليلة، فصاح فيهم: ياقوم النجاة النجاة أتيتم أتيتم، وصاح السامعون له بأهليهم وأولادهم وعشائرهم، فقالوا كيف نرحل من هذا الوادى وفيه مواشينا وأموالنا ودورنا وقد استوطناه؟ فقال لهم الناصح لينج كل واحد منكم بنفسه مما خف عليه من متاعه وإلا فهو مأخوذ وماله مجتاح فثقل على أصحاب الرفعة والأموال ورؤساء القوم النقلة ومفارقة ماهم فيه من النعيم والرفاهية والدعة، وقال كل أحمق لى أسوة بالقاعدين فهم أكثر منى مالاً وأهلاً فما أصابهم أصابنى معهم، ونهض الأقلون مع الناصح ففازوا بالنجاة، وصبح الجيش أهل الوادى فقتلهم واجتاح أموالهم.

وقد أشار النبى ﷺ إلى هذا المثل بعينه فى الحديث المتفق عليه من حديث أبى بردة عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: «**إنما مثلى ومثل مابعثنى الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: ياقوم إنى رأيت الجيش بعينى وأنا النذير العريان فالنجاة النجاة، فأطاعه طائفة من قومه فأولجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم وإجتاحهم، فذلك مثل من أطاعنى واتبع ماجئت به، ومثل من عصانى وكذب بما جئت به من الحق**»[1] ورحم الله القائل:

أعـــددت لله حـــين ألقاه	أشهـــــد أن لا إلـــه إلا الله
أقـــولها لـلإلـــه خـــالـة	يـرحـــمنى فـــى القيـامـة الله

---

(١) الحديث صحيح : أخرجه البخارى فى «صحيحه» [١٣/ ٢٥٠] كتاب الاعتصام [٩٦]، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ [٢] «ح» [٧٢٨٣] ومسلم فى صحيحه [٤/١٧٨٨] كتاب الفضائل [٤٣] باب شفقته ﷺ على أمته [٦] «ح» [١٦/ ٢٢٨٣].

والعُريان من التعرى ضرب النبى ﷺ لنفسه ولما جاء به مثلا بذلك لما أبداه من الخوارق والمعجزات الدالة على القطع بصدقه تقريباً لأفهام المخاطبين بما يألفونه.

لعل يـــوم الحـــساب أنج بها	يـــوم العقـــوبة يـــوم زاد بلواه
يوم يفـــوز علـى الأشهاد قائلها	ويخـــسر الجاحـــدون نعـــماه
فهي لـــدار الخـــلود قائـــده	ومن عصـــى فالجحيم مأواه
ومـــن قالهـــا للإلـــه مخلصة	فهو الذى قـــد أتـــاه تقواه
وهو الذى فـــى الخـــلد مسكنه	الله قد خـــصه فيهـــا وأرضاه
قد فـــار عبـــد يكون ذاكرها	بدار عـــدن جـــوار مولاه
يحظى بـــدار الخـــلود قائلها	طوبى لمـــن قالهـــا وطوباه
من كـــان عنـــد الممات قائلها	فـــار بدنيـــاه وأخـــراه

المثال الثالث:

رجل هيأ داراً وزينها ووضع فيها من جميع الآلات، ودعى الناس إليها، فكلما دخل داخل أجلسه على فراش وثير، وقدم إليه طبقاً من ذهب عليه لحم، ووضع بين يديه أوانٍ مفتخرة فيها من كل ما يحتاج إليه، وأخدمه عبيده ومماليكه، فعرف العاقل أن ذلك كله متاع صاحب الدار وملكه وعبيده فاستمتع بتلك الآلات والضيافة مدة مقامه فى الدار، ولم يعلق قلبه بها ولاحدث نفسه بتملكها، بل اعتمد مع صاحب الدار ما يعتمده الضيف، يجلس حيث أجلسه، ويأكل ماقدمه له ولا يسأل عما وراء ذلك اكتفاء منه بعلم صاحب الدار وكرمه، ومايفعله مع ضيوفه.

فدخل الدار كريماً وتمتع فيها كريماً. وفارقها كريماً ورب الدار غير ذام له، وأما الأحمق فحدث نفسه بسكنى الدار وحوز تلك الآلات إلى ملكه وتصرفه فيها بحسب شهوته وإرادته، فتخير المجلس لنفسه، وجعل ينقل تلك الآلات إلى مكان فى الدار يخبؤها فيه، وكلما قدم إليه ربها شيئاً أو آلة حدث نفسه بملكه واختصاصه به عن سائر الأضياف ورب الدار يشاهد ما يصنع وكرمه يمنعه من إخراجه من داره حتى إذا ظن أنه استبد بتلك الآلات وملك الدار وتصرف فيها وفى آلاتها تصرف المالك الحقيقى، واستوطنها واتخذها داراً له، أرسل إليه مالكها عبيده فأخرجوه منها إخراجاً عنيفاً، وسلبوه كل ماهو فيه، ولم يصحبه من تلك

الآلات شيء، وحصل على مقت رب الدار وافتضاحه عنده وبين مماليكه وحشمه وخدمه [1].

فليتأمل اللبيب هذا المثال حق التأمل فإنه مطابق للحقيقة والله المستعان.

قال عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: كل أحد فى هذه الدنيا ضيف وماله عارية، فالضيف مرتحل والعارية مؤداه.

ورحم الله القائل:

فيا من بات يخلو بالمعاصى ... وعين الله شاهدة تراه
أما تخشى من الديان طرداً ... وتحرم دائماً أبدا نداه
تبارز بالمعاصى منك مولى ... على جهل يراك ولا تراه
أتعصى الله وهو يراك دان ... إليك وليس تخشى من سطاه؟
وتنكر فعلها وله شهود ... بمكتوب عليك وقد حواه
فويل العبد من صحف وفيها ... مساويه إذا وافى مساه
وياحزن المسىء بشؤم ذنب ... وبعد الحزن يكفيه جزاه
ويندم حسرة من بعد فوت ... ويبكى حين لا يجدى بكاه
يعض يديه من ندم وحزن ... ويندب حسرة ماقد عراه
فكن بالله ذا ثقة وحاذر ... هجوم الموت من قبل أن تراه
وبادر بالمتاب وأنت حى ... لعلك أن تنال به رضاه

المثال الرابع:

قوم سلكوا مفارة، فاجأهم العطش، فانتهوا إلى البحر وماؤه أمر شيء وأملحه. فلشدة عطشهم لم يجدوا مرارته وملوحته فشربوا منه فلم يرووا وجعلوا كلما ازدادوا شرباً ازدادوا ظمأ، حتى تقطعت أمعاؤهم وماتوا عطشاً وعلم

---

(1) انظر «عدة الصابرين» للعلامة ابن قيم الجوزية [ص/ ٢٤٠، ٢٤٩] بتحقيق الداعية الإسلامى/ محمد عبد الملك الزغبى حفظه الله.

عقلاؤهم أنه مر مالح وأنه كلما ازداد الشارب منه ازداد ظمأ، فتباعدوا عنه مسافة حتى وجدوا أرضاً حلوة، فحفروا قليباً فيها فنبع لهم ماء عذب فرات، فشربوا وعجنوا وطبخوا ونادوا إخوانهم الذين على حافة البحر هلموا إلى الماء الفرات وكان منهم المستهزئ ومنهم المعرض الراضى بما هو عليه وكان المجيب واحداً بعد واحد، وهذا المثل بعينه قد ضربه المسيح عليه السلام فقال: مثل طالب الدنيا كمثل شارب البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى يقتله.

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مايتنظر أحدُكم إلا غنىً مُطغياً، أو فقراً مُنسياً، أو مرضاً مُفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر»[1].

وقال الحسن - رحمه الله تعالى: ابن آدم لاتعلق قلبك فى الدنيا فتعلقه بشر معلق، أقطع حبالها وغلق أبوابها حسبك يا ابن آدم منها ما يبلغك المحل وكان يقول: إن قوماً أكرموا الدنيا فصلبتهم على الخشب، فأهينوها فأهنا ماتكون إذا أهتموها، هيهات هيهات ذهبت الدنيا وبقيت الأعمال قلائد فى الأعناق.

المثال الخامس:

مثل الإنسان ومثل ماله وعمله وعشيرته مثل رجل له ثلاثة إخوة فقضى له سفر بعيد طويل لابد له منه، فدعا إخوته الثلاثة وقال: قد حضر ماترون من هذا السفر الطويل وأحوج ماكنت إليكم الآن، فقال أحدهم: أنا كنت أخاك إلى هذه الحال، ومن الآن فلست بأخ ولا صاحب وماعندي غير هذا، فقال له لم تغن عنى شيئاً فقال للآخر: ماعندك؟ فقال: كنت أخاك وصاحبك إلى الآن وأنا معك حتى أجهزك إلى سفرك وتركب راحلتك ومن هنا لك لست لك بصاحب. فقال له أنا محتاج إلى مرافقتك فى مسيرى فقال لا سبيل لك إلى ذلك، فقال: لم تغن

(١) الحديث: أخرجه ابن المبارك فى الزهد ح [٧] باب التحضيض على طاعة الله عز وجل، والترمذى فى السنن [٤/ ٥٥٢] كتاب الزهد [٣٧] باب ما جاء فى المبادرة بالعمل [٣] «ح» [٢٣٠٦] وابن عدى فى «الكامل» [٦/ ٢٤٣٤] ضمن ترجمه محرز بن هارون وأخرجه الحاكم فى «المستدرك» [٤/ ٣٢١] وقال: إن كان معمر بن راشد سمع من المقبرى فالحديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه وأقره الذهبى وأخرجه الشهاب القضاعى فى «المسند» [٢/ ٣١، ٣٢] «ح» [٨٢٣]و [٨٢٤].

عنى شيئاً: فقال للثالث: ماعندك أنت؟ فقال: كنت صاحبك فى صحتك ومرضك وأنا صاحبك الآن، وصاحبك إذا ركبت راحلتك، وصاحبك فى المسير، فإن سرت سرتُ معك وإن نزلت نزلتُ معك وإذا وصلت إلى بلدك كنت صاحبك فيها لا أفارقك أبداً، فقال: إن كنت لأهون الأصحاب علىّ، وكنت أوثر عليك صاحبيك، فليتنى عرفت حقك وآثرتك عليهما(١).

ويقول ﷺ: «يتبع الميت ثلاثة فيرجع إثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله»(٢).

وقال الفضيل ـ رحمه الله تعالى: تجىء الدنيا يوم القيامة فتتبختر فى زينتها ونصرتها. فتقول يارب اجعلنى لأحسن عبادك داراً، فيقول لا أرضاك له، أنت لاشىء فكونى هباء منثوراً.

المثال السادس:

وأشبه الأشياء بالدنيا هى عجوز شمطاء شوهاء قبيحة المنظر والمخبر، يجاوز بصره ظاهراً فطلب النكاح فقالت: لامهر إلا نقد الآخرة فإننا ضرتان واجتماعنا غير مأذون فيه ولا مستباح، فآثروا الخطاب العاجلة وقالوا: ما على من واصل حبيبته من جناح. فلما كشف قناعها وحل إزارها. إذا كل آفة وبلية فمنهم من طلق واستراح. ومنهم من اختار المقام فما استتمت ليلة عرسه إلا بالعويل والصياح(٣).

---

(١) الحديث ضعيف: أخرجه أبو جعفر العقيلى فى «كتاب الضعفاء» من حديث ابن شهاب عن عروة عن عائشة، وقال العلامة ابن القيم الجوزية: وقد روى هذا المثل بعينيه حديث مرفوع لكنه لا يثبت أ هـ وراجع «عُدة الصابرين» [ص/ ٢٤٠] بتحقيق الشيخ/ محمد الزغبى ـ حفظه الله وراجع «إحياء علوم الدين» بتعليق الزغبى.

(٢) الحديث صحيح: أخرجه البخارى فى صحيحه [١١/ ٣٦٢] كتاب الرقاق [٨١] باب [٤٢] «ح» [٦٥١٤] ومسلم فى صحيحه [٤/ ٢٢٧٣] كتاب الزهد [٥٣] «ح» [٥/ ٢٩٦٠] واحمد فى المسند [٣/ ١١٠] وراجع «بستان الواعظين» بتحقيق وتعليق الزغبى ـ حفظه الله.

(٣) انظر «عُدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين» [ص/ ٢٣٠] بتحقيق الشيخ محمد الزغبى ـ حفظه الله. ط. دار المنار ـ فياض.

ويرحم الله القائل:

أنت المخاطب أيها الإنسان ... فَاصْنَع إلى يلح لك البرهان

أو دعت مالو قلته لك قلت لى ... هذا لعمرك كله هذيان

فانظر لعقلك من بيانك واعتبر ... إتقان صنعته فثم الشأن

وجزا محاسن فعلهم فى حشرهم ... عند الإلـُه وعنده الرضوان

هذا لعمرى ظاهر لا يختفى ... نطق الرسول وبين الفرقان

المثال السابع:

وهو من أحسن الأمثلة: ملك بنى داراً لم يَرَ الراءون ولم يسمع السامعون أحسن ولا أوسع ولا أجمع لكل ملاذ النفوس منها ونصب لها طريقاً وبعث داعياً يدعو الناس إليها وأقعد على الطريق امرأة جميلة قد زينت بأنواع الزينة، وألبست أنواع الحلى والحلل ومر الناس كلهم عليها وجعل لها أعواناً وخدماً تحت يدها ويد أعوانها زاداً للمارين السائرين إلى الملك فى تلك الطريق، وقال لها ولأعوانها: من غض طرفه عنك ولم يشتغل بك عنى وابتغى منك زاداً يوصله إلى فأخدميه وزوديه، ولا تعوقيه عن سفره بل أعينيه بكل ما يبلغه فى سفره ومن مد إليك عينيه ورضى بك وآثرك علىّ. وطلب وصالك فسوميه سوء العذاب وأوليه غاية الهوان واستخدميه واجعليه يركض ركض الوحش. ومن يأكل منك فاخدعيه به قليلاً ثم استرديه منه واسلبيه إياه كله، وسلطى عليه أتباعك وعبيدك، وكلما بالغ فى محبتك وتعظيمك وإكرامك فقابليه بأمثاله قلى وإهانة وهجراً حتى تتقطع نفسه عليك حسرات.

فتأمل هذا المثال وحال خطاب الدنيا وخُطاب الآخرة والله المستعان.

رحم الله القائل:

المرء ضيف بدار لا مقام بها ... فيها الفجائع والروعات ترتدف

واذكر سبيلا فظيعا أنت سالكه ... ماعن ورود حياض الموت منصرف

واذكر تجرع كأس أنت شاربها ... وأنت منجدل فى غمرة دنف

والنفس فى سكرات الموت ذائقة	والقلب فى قلق والصبر مرتجف
وغادروك بأطباق الثرى وغدوا	ما آنسوك ولا آتوا ولاصرفوا
عنك الشدائد بل خلفت منجدلا	فردا وحيداً وولى القوم وانصرفوا
وخلفوك غريبا لاوسادة لك	ممهدا عن صعيد القبر ملتحف

ويقول ﷺ: «اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب»[1].

المثال الثامن:

ما مثلها به النبى ﷺ من الثوب الذى شق وبقى معلقاً بخيط فى آخره، فما بقاء ذلك الخيط؟

قال ابن أبى الدنيا: ثنا الفضل بن جعفر ثنا وهب بن حماد ثنا يحيى بن سعيد القطان ثنا أبو سعيد خلف بن حبيب عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقى معلقاً بخيط فى آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع»[2].

وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام ياموسى: مالك ولدار الظالمين إنها ليست لك بدار، أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هى إلا لعامل فنعمت الدار هى ياموسى.

---

(١) الحديث حسن: أخرجه أحمد فى «المسند» [٢/ ٣١٠] والترمذى فى السنن [٤/ ٥٥١] كتاب الزهد [٣٧]، باب من اتقى المحارم.. [٢] «ح» [٢٣٠٥] واللفظ له وقال: حديث غريب لانعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان وأخرجه ابن ماجه فى السنن [٢/ ١٤١٠] كتاب الزهد [٣٧] باب الورع والتقوى [٢٤] «ح» [٤٢١٧] والسيوطى فى «جمع الجوامع» [١/ ١٦] وعزاه للبيهقى فى الشعب. والخرائطى فى «مكارم الأخلاق» [ص/ ٤٢] باب ماجاء فى حفظ الجار.. وحسّنه الشيخ الألبانى. وراجع صحيح الجامع برقم [١٠٠] والسلسلة الصحيحة برقم [٩٣٠].

(٢) الحديث ضعيف: ذكره ابن الجوزية السلفى فى كتابه «عدّة الصابرين» وأخرجه أبو نعيم فى «الحلية» [٨/ ١٣١] وقال: حديث غريب والبيهقى فى الشعب، وضعفه الشيخ الألبانى وراجع ضعيف الجامع برقم [٥٢٥١] والسلسلة الضعيفة برقم [١٩٧٠].

وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام مر فى موكبه، والطير تظلله والجن والإنس عن يمينه وشماله فمر بعابد من بنى إسرائيل، فقال: والله يا ابن آدم لقد آتاك الله ملكاً عظيماً.

قال فسمع سليمان وقال له:

لتسبيحة فى صحيفة مؤمن خير مما أُعطى ابن داود فإن ما أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى.

وقال داود بن هلال: مكتوب فى صحف إبراهيم عليه السلام: يادنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وتزينت لهم إنى قذفت فى قلوبهم بغضك والصدود عنك، وما خلقت خلقاً أهون علىَّ منك، كل شأنك صغير وإلى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لأحد ولا يدوم لك أحد، وإن بخل بك صاحبك وشح عليك، طوبى للأبرار الذين أطلعونى من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم، مالهم عندى من الجزاء إذا وفدوا إلى من قبورهم إلا النور يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى أبلغهم مايرجون من رحمتى.

المثال التاسع:

مثال حب قد نثر على وجه الأرض، وجعلت كل حبة فى فخ وجعل حول ذلك الحب حب لبس فيه فخاخ، فجاءت الطير، فمنها من قنع بالجوانب ولم يرم نفسه فى وسط الحب فأخذ حاجته ومضى، ومنها من حمله الشره على اقتحام معظم الحب، فما استتم اللقاط إلا وهو يصيح من أخذة الفخ له.

المثال العاشر:

مثالها إناء مملوء عسلاً رآه الذباب فأقبل نحوه، فبعضه قعد على حافة الإناء وجعل يتناول من العسل حتى أخذ حاجته ثم طار، وبعضه حمله الشراء على أن رمى بنفسه فى لجة الإناء ووسطه فلم يدعه انغماسه فيه أن يهنأ به إلا قليلا حتى هلك فى وسطه

وصدق القائل:

ألا أيها المأمول فى كل شدة	إليك شكوت الضر فارحم شكايتى
ألا يا رجائى أنت كاشف كربتى	أقلنى ذنوبى كلها واقض حاجتى
وزادى قليل ما أراه مبلغى	اللزاد أبكى لبعد مسافتى؟
اتيت بأعمال قباح ردية	وما فى الورى جان جنى كجنايتى
أتحرقنى بالنار يا غاية المنى	فأين رجائى فيك أين مخافتى؟

وقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه: دخلت على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرِّمالُ بجنبه متكئاً على وسادة من أدم حشوها ليف، قلت: يا رسول الله ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارس والروم قد وُسِّعَ عليهم وهم لا يعبدون الله، فقال: «أو فى هذا أنت يا ابن الخطاب! أولئك قوم عُجِّلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا»[1].

وفى رواية: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة»[2].

روى عن عماد بن سعيد أنه قال: مر عيسى عليه السلام بقرية فإذا أهلها موتى فى الأفنية والطرق، فقال: يا معشر الحواريين إن هؤلاء ماتوا عن سخطة [غضب الله عليهم] ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا [أى ولو كانوا قد ماتوا موتاً طبيعياً لدفن بعضهم بعضاً فى المقابر بدلاً من الموت فى الطرقات].

فقالوا: يا نبى الله وددنا لو علمنا خبرهم، فسأل الله تعالى فأوحى إليه إذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل أشرف على نشز، ثم نادى: يا أهل القرية؟ فأجابه مجيب: لبيك يا نبى الله. فقال: ما حالكم وما قصتكم؟ قالوا:

---

(١) الحديث صحيح: أخرجه البخارى فى صحيحه [٥/ ١١٤ـ ١١٦] كتاب المظالم [٤٦] باب الغرفة والعُلية. . [٢٥] «ح» [٢٤٦٨]. وأخرجه مسلم فى صحيحه [٢/ ١١٠٥ـ ١١١٣] كتاب الطلاق [١٨] باب فى الإيلاء واعتزال النساء. .[٥] «ح» [٣٠ـ ٣٤/ ١٤٧٩] ضمن رواية مطولة.

(٢) الحديث صحيح:. أخرجه البخارى فى صحيحه [٨/ ٦٥٧، ٦٥٨] كتاب التفسير [٦٥] سورة التحريم [٦٦] باب ﴿تبتغى مرضاة أزواجك..﴾ [٢] «ح» [٤٩١٣]. ومسلم فى صحيحه [٢/ ١١٠٥ـ ١١٠٧] كتاب الطلاق [١٨] باب فى الإيلاء. .[٥] «ح» [٣٠/ ١٤٧٩] واللفظ لهما

بتنا فى عافية، وأصبحنا فى الهاوية. قال: وكيف ذلك؟ قالوا: بحبنا الدنيا وطاعة أهل المعاصى. قال: كيف كان حبكم للدنيا؟ قالوا: حب الصبى لأمه إذا أقبلت فرحنا وإذا أدبرت حزنا وبكينا عليها. قال: فما بال أصحابك لم يجيبونى؟ قال: لأنهم ملجمون بلجم من نار بأيدى ملائكة غلاظ شداد. قال: كيف أجبتنى أنت من بينهم؟ قال: لأنى كنت فيهم ولم أكن منهم، فلما نزل بهم العذاب أصابنى معهم، فأنا حلق على شفير جهنم لا أدرى أنجو منها أم أكبكب فيها؟

فقال المسيح للحواريين: لأكل خبز الشعير بالملح الجريش، ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة[1].

المثال الحادى عشر:

للدنيا وأهلها ما مثلها به النبى ﷺ كظل شجرة، والمرء مسافر فيها إلى الله فاستظل فى ظل تلك الشجرة فى يوم صائف ثم راح وتركها فتأمل حسن هذا المثال ومطابقته للواقع سواء. فإنها فى خضرتها كشجرة وفى سرعة انقضائها وقبضها شيئا فشيئاً كالظل والعبد مسافر إلى ربه والمسافر إذا رأى شجرة فى يوم صائف لا يحسن به أن يبنى تحتها داراً ولا يتخذها قراراً، بل يستظل بها بقدر الحاجة، ومتى زاد على ذلك انقطع عن الرفاق.

وعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نام على حصير فقام وقد أثر فى جسده، فقال ابن مسعود: يا رسول الله لو أمرتنا أن نبسط لك ونعمل، فقال: **مالى وللدنيا، وما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرةثم راح وتركها**»[2].

ورحم الله القائل:

---

(١) راجع «أهوال القبور» للشيخ محمد عبد الملك الزغبى ـ حفظه الله. [ص/٩] ط. مكتبة الإيمان.

(٢) الحديث صحيح: أخرجه الترمذى فى السنن [٤/٥٨٨]كتاب الزهد [٣٧] باب [٤٤] «ح» [٢٣٧٧] وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه فى السنن [٢/١٣٧٦] كتاب الزهد [٣٧] باب [٣] «ح» [٤١٠٩] وأخرجه الحاكم فى «المستدرك» [٤/ ٣١٠] كتاب الرقاق، وأحمد فى المسند [١/ ٣٩١]، وابن المبارك فى «الزهد» [ص/٥٤] من زيارة نعيم بن حماد. والبغوى فى «شرح السنة» [٤/٢٣٦] «ح» [٤٠٣٤] واللفظ له وصححه الشيخ الألبانى. وراجع صحيح الجامع برقم [٥٦٦٨] والصحيحة برقم [٤٣٨].

وكيف قرت لأهل العلم أعينهم أو استلذوا لذيذ النوم إذ هجعوا؟
والموت ينذرهم جهرا وعلانية لو كان للقوم أسماع لقد سمعوا
والنار بادية لابد موردهم وأيس يدرون من ينجو ومن يقع
قد أمست الطير والأنعام آمنة والنون فى البحر لا يغشى لها فزع
والآدمى بهذا الكسب مرتهن له رقيب على الأسرار مطلع
حتى يوافيه يوم الجمع منفردا وخصمه الجاد والأبصار والسمع
إذا النبيون والأشهاد قائمة والجن والإنس والأملاك قد خشعوا
وطارت الصحف والأيدى منشرة فيها السرائر والأخبار تتطلع
فكيف سهوك والأقدار واقعة عما قليل ولا تدرى بما تقع؟
أفى الجنان وفوز لا انقطاع له أم الجحيم فلا تبقى ولا تدع
تهوى بسكانها طوراً وترفعهم إذا رجوا مخرجا من غمها قمعوا
طال البكاء فلم يرحم تضرعهم هيهات لا رقة تغنى ولا جزع
ليشفع العلم قبل الموت عالمه فسأل قوم بها الرجعى فما رجعوا

وروى عن الجنيد أنه قال: وعظ الشافعى ـ رحمه الله تعالى ـ أخاً له فى الله، وخوفه بالله فقال: يا أخى إن الدنيا دحض مزلة، ودار مزلة، عمرانها إلى الخراب صائر، وساكنها إلى القبور زائر، شملها على الفرقة موقوف، وغناها إلى الفقر مصروف، والإكثار فيها إعسار، والإعسار فيها يسار، فافزع إلى الله، وارض برزق الله، لا تتسلق من دار فنائك إلى دار بقائك، فإن عيشك فىء زائل، وجدار مائل، أكثر من عملك وأقصر من أملك.

وقال يحيى بن معاذ الرازى: العقلاء ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه.

ويقول ﷺ: «لا تتخذوا الضيعة فترغبوا فى الدنيا»[1].

إخوانى إن كنتم عاصين فقولوا لا إله إلا الله فإنه تكفر الذنوب والعصيان، وإن كنتم طائعين فجددوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله فإنها تجدد الإيمان وتحرز الأمن والأمان والعفو والغفران من الملك المنان.

كأنى بالقبر معاتباً العاصى فيقول بقول القائل[2]:

يا صاحب الخطايا أين الدموع الجارية؟

يا أسير المعاصى: ابك على الذنوب الماضية.

يا مبارزاً بالقبائح أتصبر على الهاوية؟

يا ناسياً ذنوبه، والصحف للمنسى حاوية، أسفاً لك إذا جاءك الموت وما أنبت.

واحسرة لك إذا دُعيت إلى التوبة فما أجبت !!

*****

(1) الحديث صحيح: . أخرجه الترمذى فى السنن [٤/ ٥٦٥] كتاب الزهد [٣٧] باب [٢٠] «ح» [٢٣٢٨] وأخرجه الحاكم كذلك فى «المستدرك» [٤/ ٣٢٢] كتاب الرقاق، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه وأقره الذهبى. وأخرجه ابن حبان، وذكره الهيثمى فى «موارد الظمآن» [ص/ ٦١٢] كتاب الزهد [٤٠] باب فتنة المال [١] «ح» [٢٤٧١]. وأخرجه أحمد فى «المسند» [١/ ٣٧٧] والخطيب التبريزى فى «المشكاة» [٣/ ١٤٣١] «ح» [٥١٧٧] وعزاه للبيهقى فى الشعب. وصحّحه الشيخ الألبانى. وراجع صحيح الجامع برقم [٧٢١٤] والسلسلة الصحيحة برقم [١٢].

(2) أنظر «القبر يتكلم» للشيخ محمد عبد الملك الزغبى [ص/ ٢٥]. ط. دار المنار ـ فياض.

رسل ملك الموت إلى المرء

عن أبى هريرة - رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة»[1].

قال ابن عباس وعكرمة وسفيان ووكيع والحسين بن الفضل والفراء والطبرى؛ هو الشيب فإنه يأتى فى سن الاكتهال .

قال القاضى منذر بن سعيد البلوطى:

كم تصابى وقد علاك المشيب ... وتعامى جهلاً وأنت اللبيب؟
كيف تلهو وقد أتاك نذير ... وشِباك الحمام منك قريب
يا مقيماً قد حان منه رحيل ... بعد ذاك الرحيل يوم عصيب
إن للموت سكرة فارتقبها ... لا يداويك إذا أتتك طبيب

وقال آخر - رحمه الله:

تقول النفس غَيِّرْ لون هذا ... عساك تطيب فى عمر يسير
فقلت لها المشيب نذير عمرى ... ولست مُسَوِّدًا وجه النذير

وورد فى الخبر: أن بعض الأنبياء عليهم السلام قال لملك الموت عليه السلام: أمالك رسول تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك؟ قال: نعم، لى والله رسل كثيرة من العلل، والأمراض، والشيب والهموم، وتغير السمع والبصر، فإذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب.. إذا قبضته ناديته: ألم أقدم لك رسولاً، ونذيراً بعد نزير؟ فأنا الرسول الذى ليس بعدى رسول، وأنا النذير الذى ليس بعدى نذير.. فما من يوم تطلع فيه شمس ولا تغرب إلا وملك الموت ينادى:

---

(١) الحديث صحيح: أخرجه البخارى فى صحيحه [١١/٢٣٨] كتاب الرقاق [٨١] باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه فى العمر [٥] «ح» [٦٤١٩]. والحاكم فى المستدرك [٢/٤٢٧-٤٢٨] واحمد فى المسند [٢/٢٧٥] من طريق معمر عن رجل من بنى غفار عن سعيد المقبرى به واخرجه الخطيب فى «التاريخ» [١/ ٢٩٠] واحمد ايضاً [٢/ ٣٢٠]

يا أبناء الأربعين: هذا وقت أخذ الزاد أذهانكم حاضرة وأعضاؤكم قوية شداد.

ويا أبناء الخمسين: قد دنا وقت الأخذ والحصاد.

ويا أبناء الستين: نسيتم العقاب وغفلتم عن رد الجواب، فما لكم من نصير: **﴿.. أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير..﴾**[1].

يقول الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى: أى أو ماعشتم فى الدنيا أعماراً لو كنتم ممن ينتفع بالحق لا نتفعتم به فى مدة عمركم؟ وقد اختلف المفسرون فى مقدار العمر المراد هنا، فروى عن على بن الحسين زين العابدين ـ رضى الله عنهما أنه قال: مقدار سبع عشرة سنة.

وقال قتادة: اعلموا أن طول العمر حجة، فنعوذ بالله أن نعيد بطول العمر قد نزلت هذه الآية: **﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾** وأن فيهم لابن ثمانى عشرة سنة.

وقال مجاهد سمعت ابن عباس ـ رضى الله عنهما يقول: العمر الذى أعذر الله تعالى لابن آدم «أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر» أربعون سنة، هكذا رواه من هذا الوجه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما به؛ وهذا القول هو اختيار ابن جرير.

وفى رواية لابن عباس أخرى قال: العمر الذى أعذر الله فيه لابن آدم فى قوله: **﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾** ستون سنة.

وقال الحافظ ابن كثير بعدها: فهذه الرواية أصح عن ابن عباس ـ رضى الله

---

(١)راجع «التذكرة» و«روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق» و«أهوال القبور» للشيخ الزغبى ـ حفظه الله وقُلتُ: هذا خبر إسرائيلى يذكر للاستشهاد فقط. وهذا قول ابن كثير وشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمهما الله.

.هذه الرواية مسلم فى الفضائل [٢٣٥٣] باب [٣٣] والترمذى. كتاب المناقب «ح» [٣٦٧٠] و[٣٦٧١] وقال: حسن الإسناد صحيح، ورواية «ثلاث وستين» أخرجها البخارى فى مناقب الأنصار [٣٨٥١] وطرفاه فى [٣٩٠٢] [٣٩٠٣] ومسلم «ح» [٢٣٥١] وأحمد فى المسند [١/ ٢٢٤٢] وابن حبان [٦٣٩٠] والبيهقى فى «الدلائل» [٧/ ٢٣٨] والبغوى [٣٨٤٠] وهذه هى المشهورة. والله أعلم.

عنهما، وهى الصحيحة فى نفس الأمر أيضاً، لما ثبت فى ذلك من الحديث كما سنورده، لاكما زعمه ابن جرير من أن الحديث لم يصح فى ذلك، لأن فى إسناده من يجب التثبت فى أمره.

وكما قال الشاعر:

إذا بلغ الفتى ستين عاماً　　　فقد ذهب المسرة والفتاء

ولما كان هذا العمر الذى يعذر الله تعالى إلى عباده به ويزيح به عنهم العلل، كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة، كما ورد بذلك الحديث.

قال الحسن بن عرفة - رحمه الله: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى، ثنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة - رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعمار أمتى ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك».

وهكذا رواه الترمذى وابن ماجه جميعاً فى كتاب الزهد عن الحسن بن عرفه به. ثم قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وهذا عجب من الترمذى، فإنه قد رواه أبو بكر بن أبى الدنيا من وجه آخر وطرق أخرى عن أبى هريرة حيث قال: ثنا سليمان بن عمرو عن محمد بن ربيعة عن كامل أبى العلاء عن أبى صالح عن أبى هريرة - رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعمار أمتى ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك».

وقد رواه الترمذى فى كتاب الزهد أيضاً عن إبراهيم بن سعيد الجوهرى عن محمد بن ربيعة، ثم قال: هذا حديث غريب من حديث أبى صالح عن أبى هريرة - رضى الله عنه، وقد روى من غير وجه عنه هذا نصه بحروفه فى الموضعين والله أعلم.

وعن حذيفة - رضى الله عنه أنه قال: يا رسول الله أنبئنا بأعمار أمتك، قال رسول الله ﷺ: «ما بين الخمسين إلى الستين» قالوا: يا رسول الله فأبناء السبعين؟ قال رسول الله ﷺ: «قل من يبلغها من أمتى، رحم الله أبناء السبعين، ورحم الله أبناء الثمانين» ثم قال البزار: لا يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد، وعثمان بن مطر من أهل البصرة وليس بقوى، وقد ثبت فى الصحيح أن الرسول ﷺ عاش ثلاثاً وستين سنة، وقيل ستين، وقيل خمساً وستين، والمشهور الأول.

وقوله تعالى: ﴿وجاءكم النذير﴾ روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما وعكرمة وأبى جعفر الباقر ـ رضى الله عنه وقتادة وسفيان بن عيينة أنهم قالوا: يعنى المشيب، وقال السدى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعنى به رسول الله ﷺ. وقال شيبان: احتج عليهم بالعمر والرسل، وهذا هو اختيار ابن جرير، وكذا رجحه الحافظ ابن كثير[1].

روى أن ملك الموت دخل على داود عليه السلام، فقال: من أنت؟ فقال: من لا يهاب الملوك، ولا تمنع منه القصور، ولا يقبل الرشا، قال: فإذا أنت ملك الموت. قال: نعم. قال: أتيتنى ولم أستعد بعد؟ قال: يا داود أين فلان قريبك؟ أين فلان جارك؟ قال: مات. قال: أما كان لك فى هؤلاء عبرة لتستعد لذا فالإنسان له نذيران:

النذير الأول هو: الرسول ﷺ لقول تعالى: ﴿... وما كنا مُعذبين حتى نبعث رسولاً﴾.

والنذير الثانى هو: الشيب يقول الله تعالى: ﴿..حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال ربِّ أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىَّ وعلى والدىَّ وأن أعمل صالحاً ترضاه..﴾.

ويقول تعالى أيضاً: ﴿الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوةٍ ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾.

يقول الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله[2]: ينبه تعالى على تنقل الإنسان فى أطوار

---

(١) انظر تفسير الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله [٥/٥٨٨/ ٥٩٢]. ط دار الأندلس، بيروت.

قلت: وحديث الترمذى: صحيح. أخرجه فى السنن [٤/ ٥٦٦] كتاب الزهد [٣٧] «ح» [٢٣٣١] هذا من الطريق الأول. والثانى [٥/ ٥٥٣] كتاب الدعوات [٤٩] باب فى دعاء النبى ﷺ [١٠٢] «ح» [٣٥٥٠] وقال: حسن غريب. وابن ماجه فى السنن [٢/ ١٤١٥] كتاب الزهد [٣٧] باب الأمل والأجل [٢٧] «ح» [٤٢٣٦] وصححه ابن حبان. وذكره الهيثمى فى «موارد الظمآن» [ص/ ٦١١] كتاب التوبة [٣٩] باب أعمار هذه الأمة [١٠] «ح» [٢٤٦٧] والحاكم فى «المستدرك» [٢/ ٤٢٧] كتاب التفسير. وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره ووافقه الذهبى.

وقلت أيضاً: والمشهور أن رسول الله ﷺ توفى وعنده ثلاث وستين، وجاءت رواية بلفظ «خمس وستين»

(٢) انظر «تفسير ابن كثير» [٥/ ٣٧٢، ٣٧٣] ط. دار الأندلس، بيروت.

الخلق حالا بعد حال، فأصله من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، ثم يصير عظاماً، ثم تكسى العظام لحماً، وينفخ فيه الروح، ثم يخرج من بطن أمه ضعيفاً نحيفاً واهن القوى، ثم يشب قليلاً قليلاً حتى يكون صغيراً، ثم حدثاً ثم مراهقاً ثم شاباً وهو القوة بعد الضعف، ثم يشرع فى النقص فيكتهل ثم يشيخ ثم يهرم، وهو الضعف بعد قوة، فتضعف الهمة والحركة والبطش، وتشيب اللمة، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة، ولهذا قال تعالى: **﴿ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء﴾** أى يفعل ما يشاء ويتصرف فى عبيده بما يريد **﴿وهو العليم القدير﴾** .

وقال بعض الأعراب:

يا بؤس من فقد الشباب وغيرت	منه مفارق رأسه بخضاب
.يرجو نَضَارَةَ وجهه بخضابة	ومصير كل عمارة لخراب
شيئان لو بكت الدماء عليهما	عيناى حتى يؤذنا بذهاب
إنى وجدت أجل كل مصيبة	فقد الشباب وفرقة الأحباب

*****

توبة قبل الممات

قال الإمام النووى فى «رياض الصالحين». قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى، فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

الثانى: أن يندم على فعلها[1].

الثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً. فإن فقد أحد الثلاثة، لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمى، فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه، ردَّه إليه، وإن كان حدَّ قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه. وإن كان غيبة، استحله منها.

ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها، صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقى عليه الباقى[2].

وقال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا اعترف ثم تاب، تاب الله عليه»[3].

ويقول المولى عز وجل: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾.

ويقول تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾.

ويقول تعالى: ﴿وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات﴾.

---

(١) ويعضد ذلك قوله ﷺ «التوبة ندم» رواه أحمد فى المسند، وابن ماجه فى السنن، والحاكم فى المستدرك، والبيهقى والطبرانى بزيادة «والتائب من الذنب كمن لا ذنب له» رواه أبو نعيم بهذه الزيادة أيضاً. وصححه الألبانى وراجع صحيح الجامع برقمى [٦٨٠٢] و[٦٨٠٣] والسلسلة الضعيفة برقمى [٦١٥] و[٦١٦].

(٢) انظر «كتاب التوابين» [ص/٢٠١] لابن قدامة المقدسى ـ بتحقيقى. ط. دار المنار ـ فياض.

(٣) الحديث صحيح: أخرجه البخارى ـ ضمن حديث الإفك. [٧/ ٤٣١ـ ٤٣٥] كتاب المغازى [٦٤] باب حديث الإفك [٣٤] «ح» [٤١٤١] واللفظ له، ومسلم فى صحيحه [٤/ ٢١٢٩ ـ ٢١٣٧] كتاب التوبة [٤٩] «ح» [٥٦/ ٢٧٧٠]

(١) أنظر «تنبيه الغافلين» [ص/٧٩] بتحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبى. ط. دار المنار ـ فياض.

ويقول تعالى: ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾.

ويقول تعالى: ﴿إلا منْ تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾.

قال عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه[1]: من قال أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاثاً غفرت له ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر[1].

ويقول ﷺ: «والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»[2].

ورحم الله القائل:

نهـــاك الطيب محـــيلا على	مطاعم لـــو نلتها لـــــم تمت
وخاطبـــك الله جـــل اسمه	بترك الذنوب التـــى حرمت
فأعرضـــت عـــن أمره لاهيا	وأمنت نفسك مـــا خوفت
فمـــاذا تقول إذا أزعجت	لتخرج بالكـــره فاستسلمت؟
فلا نـــدم حـــط أوزارها	ولا توبة غسلت مـــا جنت
وأفردت وحـــدك فـــى ملحد	بكت فيه نفسك ما أسلفت[3]

ويقول ابن الجوزى ـ رحمه الله: معشر المذنبين اجعلوا أعماركم ثلاثة أيام: يومًا مضى، ويومًا أنتم فيه، ويَوْمًا تنتظرونه لا تدرون بما يأتيكم من صلاح أو فساد ولعلكم لا تبلغونه. فأصلحوا اليوم الذى مضى بالندم على ما فاتكم فيه من الطاعة والإحسان، وما اقترفتم فيه من الذنوب والعصيان، واليوم الذى مضى إنما تصلحونه فى اليوم الذى أنتم فيه بالبكاء والندامة، وذم النفس مع الملامة: وأنشدوا:

(٢) الحديث صحيح: أخرجه مسلم فى صحيحه [٤/٢١٠٦] كتاب التوبة [٤٩] باب سقوط الذنب.. [٢] «ح» [١١/ ٢٧٤٩].

(٣) انظر «بستان الواعظين» [ص/ ٩٩] بتحقيق الشيخ محمد الزغبى ـ حفظه الله. ط. دار المنار ـ فياض.

(١) انظر «بستان الواعظين ورياض السامعين» [ص/١٢] بتحقيق الشيخ محمد الزغبى ـ حفظه الله. ط. دار

حتى متى نحن والأيام نحسبها ... وإنما نحن فيها بين يومين

يوم تولى ويوم أنـــت تأملـــه ... لعله أجلب الأيام للحين

آنس الله روعتي وروعتكم يوم النشور، وآنس وحشتي ووحشتكم في القبور، إنه على ذلك قدير، وهو عليه يسير اهـ[1].

وقال رسول الله ﷺ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»[2].

حكاية عن التوبة

ذكر عن بعض الخائفين أنه قال: رأيت رجلاً واقفاً على صبي من الصبيان في المكتب وهو يمحو لوحاً، وكان اللوح قد تكتب بالحبر، وكانت الكتابة قد ثبتت ولا تزول بالماء، فجعل الصبي يحك اللوح بالحبل والتراب، فقال الرجل الواقف عليه: يا بني مالك تحك اللوح بالحبل؟ فقال: ليزول الحبر الذي ثبت فيه. فقال له الرجل: والحبل يا بني يزيل الحبر؟ قال: نعم ألا ترى أن الحبل إذا حك في تنور البئر يؤثر فيه وهو حجر فيصير فيه من أثر الحبل شبه الخنادق! فقال الرجل: ذلك بطول المدة، فقال الصبي: لا يا عم إلا بالحزم، والاجتهاد وإنك يا نعم الرجل بعيد الذهن، قال الرجل: كيف ذلك يا بني؟ قال: لأني قد قلت لك إشارة لو ألقيتها على قلبك لأفاق وامتحى الحبر الذي عليه، فقال الرجل: يا بني كان على قلبي حبراً؟! قال: يا عم وأي لون هو الحبر؟ قال: هو أسود. قال الصبي: يا عم ألم أقل لك إنك بعيد الذهن، وأي سواد أشد من سواد الذنوب على القلوب! فصاح الرجل صيحة وخرَّ مغشياً على وجهه ثم أخذ في البكاء. فقال له الصبي: أما الآن فقد وجدت الدواء لذنوبك ومحوها من كتابك وقلبك.

المنار ـ فياض.

(٢) الحديث ضعيف: اخرجه احمد في «المسند» [١/٢٤٨] وأبو داود في السنن [٢/١٧٨، ١٧٩] كتاب الصلاة [٢] باب في الاستغفار [٣٦١] «ح» [١٥١٨] والنسائي في «عمل اليوم والليلة» [ص/ ٣٣٠، ٣٣١] «ح» [٤٥٦] وابن ماجه في السنن [٢/ ١٢٥٤، ١٢٥٥] كتاب الأدب [٣٣] باب الاستغفار [٥٧] «ح» [٣٨١٩]. والطبراني في «الكبير» [١٠/ ٣٤٢] «ح» [١٠٦٦٥]. وابن السني في عمل اليوم والليلة [ص/ ١٤٢] «ح» [٣٦٦] والبيهقي في «الكبرى» [٣/ ٣٥١]. والحاكم في المستدرك [٤/ ٢٦٢]. وذكره المقريزي في مختصر قيام الليل [ص/ ٤٢].

(١) أنظر «الروض» [ص/ ١٣، ١٤] وانظر «الجامع المتين في شتى فروع الدين» للشيخ الزغبي. حفظه الله.

فقال الرجل: يا بنى وما الدواء؟ فقال له: البكاء فقال: يا بنى والبكاء يمحو الذنوب من الكتاب والقلب؟ قال له: نعم، والدليل على ذلك قوله ﷺ: «إن الدموع تطفىء بحار النار يوم القيامة عن الباكى» (لا يصح).

ويقول ابن الجوزى معلقاً: فإذا محت الدموع بحار النار فأحرى أن تمحو من الكتاب القبائح والأوزار وإذا زالت من الكتاب الفضائح والأوزار، رضى عنك الملك الغفار، وأمر بك إلى دار الراحة والقرار، وخلصت من عذاب البوار، فابكوا يا جماعة المسلمين على ما أذنبتم فى الشهور والأعوام، وفى الساعات والأيام، من الخطايا والإجرام، واكتساب الربا والحرام، وظلم الضعفاء والأرامل والأيتام، وما فرطتم فيه من أداء حقوق الملك العلام. وأنشدوا:

وددت أن دموعى بحر فاسفحها ... من مقلتى على ما فات من زمنى

واها على أسف منى على وهل ... يجنى التأسف إلا غلة الشجن

والله لو صح تحقيق التأسف ما ... ألفيت إلا مع النوام فى الحزن

يا ليت لى عينا فى كل جارحة ... تبكى على بدمع مانع الوسن

ذنوبه أعمته عن رؤية آيات القرآن

قال منصور بن عمار[1] ـ رحمه الله: كان لى أخ فى الله يعتضدنى ويزورنى فى شدة ورخاء وكنت أراه كثير العبادة والتهجد والبكاء ففقدته أياماً فقيل لى هو ضعيف [مريض] فسألت عن داره فأتيت الباب فطرقته فخرجت إلى ابنته فقالت: من تريد؟ فقلت: فلاناً فدخلت واستأذنت لى ثم عادت وقالت: ادخل، فدخلت فوجدته فى وسط الدار وهو مضطجع على فراش وقد اسود وجهه وازرقت عيناه وغلظت شفتاه، فقلت له وأنا خائف منه: يا أخى أكثر من قول لا إله إلا الله ففتح عينيه ونظر إلىّ شزراً وغُشِىَ عليه فقلت له ثانياً: يا أخى أكثر من قول لا إله إلا الله ففتح عينيه ونظر إلى شزرا وغشى عليه، فقلت ثالثاً: يا أخى أكثر من قول لا إله إلا الله ولئن لم تقلها لا غسلتك ولا كفنتك ولا صليت عليك ففتح عينيه وقال يا أخى يا منصور هذه كلمة قد حيل بينى وبينها فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله

(١) أنظر «الجامع المتين فى شتى فروع الدين» للشيخ الزغبى ـ حفظه الله.

العلى العظيم ثم قلت له: يا أخى أين تلك الصلاة والصيام والتهجد والقيام فقال: يا أخى كل ذلك كان لغير وجه الله إنما كنت أفعل ذلك ليقال عنى وأذكر به وكنت أفعل ذلك رياء الناس فإذا خلوت بنفسى أغلقت الباب وأرخيت الستور وشربت الخمور وبارزت بالمعاصى والفجور. ودمت على ذلك مدة فأصابنى مرض أشرفت فيه على الهلاك فقلت لابنتى هذه ناولينى المصحف ففعلت فأخذته فجعلت أقرأ فيه حرفاً حرفاً حتى بلغت سورة يس فرفعت المصحف وقلت اللهم بِحَقِّ هذا القرآن العظيم إلا ما شفيتنى وأنا لا أعود إلى ذنب أبداً ففرج الله عنى فلما شفيت عدت إلى ما كنت عليه من اللهو واللذات والزهو وأنسانى الشيطان العهد الذى كان بينى وبين ربى وبقيت على ذلك مدة من الزمان فمرضت مرضاً أشرفت فيه على الموت فأمرت أهلى فأخرجونى إلى وسط الدار على عادتى ثم دعوت بالمصحف فقرأت فيه ثم رفعته وقلت: اللهم بحرمة هذا المصحف وما فيه من كلامك القديم إلا ما فرجت عنى فاستجاب الله منى وفرج عنى ثم عدت إلى ما كنت عليه من الهوى والغى فوقعت فى هذا المرض فأمرت أهلى فأخرجونى إلى وسط الدار كما ترانى ثم دعوت بالمصحف لأقرأ فيه فلم يتبين لى فيه حرفاً واحداً فعلمت أن الله سبحانه وتعالى قد غضب علىّ فرفعت رأسى إلى السماء وقلت: اللهم بحرمة هذا المصحف إلا ما فرجت عنى يا جبار السماء والأرض ولم يستجب لى ربى.

قال منصور: وما خرجت من عنده إلا وقد سمعت أنه قد مات وما خرجت من عنده إلا وعينى تسكب العبرات.

ورحم الله القائل:

تتوب من الذنوب إذا مرضتا	وترجع للذنوب إذا برئتا
إذا ما الضر مسك أنت باك	وأخبث مـــا يكـــون إذا قويتا
فكم من كـــربة نجـــاك منها	وكم كشـــف البلاء إذا بليتا؟
وكـــم غطاك ذنـــب وعنه	مدى الأيام جـــهرا قد نهيتا
أما تخشى بأن تأتى المنايا	وأنت على الخطايا قد دهيتا

وتنسى فضل رب جاد فضلا ... عليك ولا إرعويتا ولا خشيتا
وكم عاهدت ثم نقضت عهدا ... وأنت لكـــل معـــروف نسيتا؟
فدارك قبل نقلك عـــن ديارك ... إلـــى قبـــر إليـــه قـــد نعيتا

كفر بالله ومات فأصبح نادماً على ما قد فات

يروي أن أخوين كان أحدهما عابداً والآخر مسرفاً على نفسه وكان العابد يعبد الله آناء الليل وأطراف النهار فوسوس إليه إبليس فقال له: يا أسفا عليك ضيعت من عمرك أربعين سنة فى حصر نفسك وأتعاب بدنك وقد بقى من عمرك مثل ما مضى فاطلق نفسك فى شهواتها وتلذذ ثم تب بعد ذلك وعد إلى العبادة فإن الله غفور رحيم فقال العابد أنزل إلى أخى فى أسفل الدار وأوافق على الهوى واللذات عشرين سنة ثم أتوب وأعبد الله فى العشرين التى تبقى من عمرى فنزل وقال أخوه المسرف لنفسه أفنيت عمرى فى المعصية وأخى العابد يدخل الجنة وأنا أدخل النار والله لأتوبن إلى الله وأصعد إلى أخى وأوافقه فى العبادة ما بقى من عمرى فلعل الله يغفر لى فطلع على نية التوبة ونزل أخوه على نية المعصية فزلت رجله فوقع على أخيه فماتا جميعاً فى السلم فحشر العابد على نية المعصية وحشر المسرف على نية التوبة.

إخوانى: فرغوا قلوبكم للاعتبار فيما يجرى فى الليل والنهار كم من بعيد قرب وكم من قريب أبعد وجفاه الأهل والجار وكان الحظ الأول الجنة وحظ الثانى النار فاعتبروا يا أولى الأبصار ندم العابد على تغيير نيته بلا شك وخفا وبكى على تفريطه بعد عبادته إذ زل وهفا يود لو أن صافى وده يرد ويرجع إلى الوفا، وسيعلم أنه بنى على شفا جرف هار فاعتبروا يا أولى الأبصار[1].

ورحم الله القائل:

أناس أعرضوا عنا ... بلا جرم ولا معنى
أساؤوا ظنهم فينا ... فهلا أحسنوا الظنا

---

(١) قُلتُ: والصحيح لفظ النصارى وليس المسحيين، لان كلمة مسيحى تدل على كونه متبع المسيح عليه

فإن عادوا لنا عدنا	وإن خانوا فما خنا
وإن كانوا قد استغنوا	فإنا عنهما أغنى

الموقف الثانى وله العنوان فى الأصل: روى أن مؤذناً أذن فى منارة مدة أربعين سنة فصعد يوماً وأذن حتى بلغ قوله «حى على الفلاح» فوقع بصره على امرأة نصرانية فذهب عقله وقلبه فترك الأذان وذهب إليها وخطبها فقالت: مهرى ثقيل عليك، فقال: وما هو؟ قالت: تدخل فى دينى وتترك الإسلام فكفر بالواحد الديان ودخل فى النصرانية فلما كان ليلة العرس ذهب إلى أعلى السطح فى أمر ما وزلت قدمه فوقع فمات فلاهو بدينه ظفر ولا بالنصرانية نال وأصبح عليه الأمر نكال. ونعوذ بالله من سوء الخاتمة وشر العاقبة.

إخوانى: الشيطان راصد يرصد فى جميع المقاصد ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾ لا تسمعوا قوله فإنه كذاب أشر ولاتقبلوا نصحه فإنه غشاش ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾.

واعجبا لمن كان فى ظهر أبيه آدم كيف يدخل ناراً وقودها الناس والحجارة يا ابن آدم إنما طردنا بسبب إبليس فإنه لم يسجد لأبيك فالعجب منك كيف صالحته وهجرتنا؟

وصدق القائل:

لاعذر لـــى قـــد أتى المشيب	فليت شعرى متى أتوب؟
إبليس قـــد غرق ونفسى	ومسنى منهمـــا اللغوب
إذا انقضـــى للشقاء ذنب	تجددت بعـــــده ذنوب
ومن ورائى حـــلول قبر	ساكنه مفـــرد غريب
ولســـت أدرى إذا أتانى	رسول ربـــى بمـــا أجيب
هل أنـــا عند الجواب منى	أخطئ فى القول أم أجيب؟
أم أنـــا يوم الحساب ناج	أم لى فى ناره نصيب؟
يارب جد لى على رجائى	بمنة منـــك لا أخـــيب

توبة مالك بن دينار[١]

روى عن مالك بن دينار أنه سُئل عن سبب توبته، فقال: كنت شرطياً وكنت منهمكاً على شرب الخمور ثم إننى اشتريت جارية نفيسة، ووقعت منى أحسن موقع، فولدت لى بنتاً، ثم ماتت زوجتى بعد ذلك وتركت لى الطفلة، فشغفت بها، فلما دبت على الأرض ازدادت فى قلبى حباً، وألفتنى وألفتها، قال: كنت إذا وضعت المُسكر بين يدى جاءت إلى وجاذبتنى عليه وهرقته على ثوبى، فلما تم لها سنتان ماتت فأكمدنى حزنها فلما كانت ليلة جمعة بت ثملاً من الخمر، ولم أصلِّ فيها عشاء الآخرة، فرأيت فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت، ونفخ فى الصور، وبعثرت القبور، وحشر الخلائق وأنا معهم. فسمعت حساً من ورائى فالتفت فإذا أنا بتنين أعظم ما يكون أسود أزرق قد فتح فاه مسرعاً نحوى فمررت بين يديه هاربًا فزعاً مرعوباً فمررت فى طريقى بشيخ نقى الثوب طيب الرائحة، فسلمت عليه فرد علىّ السلام.

فقلت: أيها الشيخ! أجرنى من هذا التنين أجارك الله، فبكى الشيخ وقال لى: أنا ضعيف وهذا أقوى منى وما أقدر عليه، ولكن مر وأسرع فلعل الله أن ينجيك منه. فوليت هارباً على وجهى فصعدت على شرف من شُرف القيامة، فأشرفت على طبقات النيران، فنظرت فى هولها، وكدت أهوى فيها من فزع التنين، فصاح بى صائح: ارجع فلست من أهلها: فاطمأننت إلى قوله، ورجع التنين فى طلبى.

فأتيت الشيخ فقلت: ياشيخ ! سألتك بالله أن تجرنى من هذا التنين فلم تفعل. فبكى الشيخ، وقال: أنا ضعيف ولكن سر إلى هذا الجبل فإن فيه ودائع المسلمين، فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك قال: فنظرت إلى جبل مستدير من فضة، وفيه كوى مخرمةوستور معلق على كل خوخة وكوة مصراعان من الذهب الأحمر..

فلما نظرت إلى الجبل وليت إليه هارباً والتنين من ورائى؛ حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة: ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع وأشرفوا! فلعل لهذا البائس

(١) انظر «التوابين» لابن قدامة المقدسى [ص / ١٣٢ - ١٣٣] بتحقيق. ط دار المنار - فياض.

فيكم وديعة تجيره من عدوه.

فإذا الستور قد رُفعت والمصاريع قد فتحت، فأشرف على من تلك المخرمات أطفال بوجوه كالأقمار.

وقرب التنين منى، فتحيرت فى أمرى فصاح بعض الأطفال: ويحكم ! أشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه.

وإذا أنا بابنتى التى قد ماتت أشرفت علىّ معهم. فلما رأتنى بكت وقالت: أبى والله ! ثم وثبت حتى مثلت بين يَدَىّ فمدت يدها الشمال إلى يدى اليمنى فتعلقت بها، ومدت يدها اليمنى إلى التنين فولى هارباً.

ثم أجلستنى وقعدت فى حجرى وضربت بيدها اليمنى إلى لحيتى، وقالت: يا ابت ﴿ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾.

فَبكيت وقلت: يابنية ! وأنتم تعرفون القرآن؟ فقالت : يا أبت ! نحن أعرف به منكم قلت: فأخبرنى عن التنين الذى أراد أن يهلكنى. قالت: ذلك عملك السوء قوّيته فأراد أن يغرقك فى نار جهنم.

قلت: فأخبرينى عن الشيخ الذى مررت به فى طريقى. قالت: يا أبت: ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقه بعملك السوء.

قلت: يابنية! وماتصنعون فى هذا الجبل؟ قالت: نحن أطفال المسلمين قد أُسكنا فيه إلى أن تقوم الساعة ننتظر كم تقدمون علينا فنشفع لكم.

قال مالك: فانتبهت فزعاً وأصبحت فارقت المسكر وكسرت الآنية وتبت إلى الله عزَّ وجلَّ.

ورحم الله القائل:

يانفس توبى عن فعال منكرة	واسعى إلى دار البقا مستبصرة
يانفس فإذا القوم من رب العلى	بالعفو عن زلاتهم والمغفرة
يانفس قد قطعوا النهار لربهم	بصيامهم وقيامهم ما أكثره
يانفس ويحك للمتاب فبادرى	من قبل تأتيك الذنوب مسطرة
يانفس إن القوم زادوا خيفة	من مكره وقلوبهم متذكرة

يانفس جدى فى التقى وتزودى عجلا وكونى للبقا مستشعرة
يانفس كم قوم على الدنيا احتووا ظلما ومالهم إذًا مِنْ آخره؟
يانفس كم أمم تفانوا فى البلى وعظامهم أصبحت عظاما ناخرة؟
يانفس توبى اليوم من قبل الردى فعسى تكونى فى غد مستبشرة
يانفس من لى بالذنوب وكلها يوم القيامة فى الكتاب محررة؟
يانفس ماينجيك فى يوم اللقا من عظم أهوال الحساب المحضرة
إلا شفاعة أحمد الهادى الذى يرجى لديه العفو عند المقدرة
فهو النبى الهاشمى المصطفى المجتبى من خلقه إذ أظهره
يانفس جدى فى السير لقبره واصغى إلى أبوابه مستصغرة
وتمتعى بجماله ووصاله كى لا تكونى فى الورى متحيرة
وإذا وصلت إلى رباه فعظمى تلك المواقف وادخلى متوقرة
فعسى تنال الفوز من رب العلى وتعود زلات الذنوب مكفرة

توبة عابد صنم وإسلامه[1].

حُكى عن عبد الواحد بن زيد، قال: كنت فى مركب، فطرحتنا الريح إلى جزيرة، وإذا فيها رجل يعبد صنماً.

فقلنا له: يارجل! من تعبد؟ فأومأ إلى الصنم. فقلنا: إن معنا فى المركب من يسوى مثل هذا وليس هذا إلـهًا يُعبد. قال: فأنتم من تعبدون؟ قلنا: الله. قال: وما الله؟ قلنا: الذى فى السماء عرشه، وفى الأرض سلطانه، وفى الأحياء والأموات قضاؤه: فقال: كيف علمتم به؟ قلنا: وجه إلينا هذا الملك رسولاً كريماً فأخبر بذلك. قال: فما فعل الرسول؟ قلنا: أدى الرسالة ثم قبضه الله. قال: فما ترك عندكم علامة؟ قلنا: بلى، ترك عندنا كتاب الملك. فقال: أرونى كتاب الملك، فينبغى أن تكون كتب الملوك حساناً.

فأتيناه بالمصحف، فقال: ما أعرف هذا فقرأنا عليه سورة من القرآن، فلم نزل نقرأ ويبكى حتى ختمنا السورة. فقال: ينبغى لصاحب هذا الكلام أن لا يُعصى ! ثم أسلم، وحملناه معنا وعلّمناه شرائع الإسلام وسوراً من القرآن وكنا حين جَنَّنَا

(١) انظر: «كتاب التوابين» [ص/ ١٩٣، ١٩٤] بتحقيقى . ط . دار المنار ـ فياض.

الليل وصلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا ـ

قال لنا: ياقوم ! هذا الإلـه الذى دللتمونى عليه، إذا جنّه الليل ينام؟ قلنا: لا ياعبد الله! هو عظيم قيوم لا ينام. قال: بئس العبيد أنتم، تنامون ومولاكم لا ينام؟ فأعجبنا كلامه فلما قدمنا «عبادان» قلت لأصحابى: هذا قريب عهد بالإسلام. فجمعنا له دراهم وأعطيناه.

فقال: ما هذا؟ قلنا: تنفقها. فقال: لا إله إلا الله ! دللتمونى على طريق ما سلكتموها، أنا كنت فى جزائر البحر أعبد صنماً من دونه ولم يضيعنى، يضيعنى وأنا أعرفه؟! لما كان بعد أيام قيل لى: إنه فى الموت. فأتيته، فقلت له: هل من حاجة فقال: قضى حوائجى من جاء بكم إلى جزيرتى.

قال عبد الواحد: فحملتنى عينى، فنمت عنده. فرأيت مقابر «عبادان» روضة فيها قبة وفى القبة سرير عليه جارية لم أر أحسن منها. فقالت: سألتك بالله إلا ما عجلت به، فقد اشتد شوقى إليه فانتبهتُ، وإذا به قد فارق الدنيا. فقمت إليه فغسلته وكفنته وواريته.

إخوانى: أين الذين كانوا فى اللذات يتقلبون ويتجبرون على الخلق ويتكبرون؟ ضربت لهم كؤوس المنون فهم لها يتجرعون وتركوا الأموال التى كانوا لها يجمعون وفارقوا العيش الذى كانوا به يتمتعون فلو رأيتهم ياهذا فى حلل الندامة يرفلون ويساقون إلى الموت وهم ينظرون؟ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

ويقول العلامة ابن الجوزى ـ رحمه الله تعالى: فالله الله معشر المذنبين مثلى أبعدوا عن عمل السوء بالتوبة إلى الرحمن، ولا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها غرور الشيطان. واعلموا أن الله تبارك وتعالى يمحو عنكم سيئاتكم بترك الذنوب والعزم على التوبة، ويرحكم يوم الحساب بحسن الأوبة يا أخى يا أخى وما عسى أن أقول لك من كرم مولاكم الجليل جل جلاله لو أن الذنوب التى عملت فى أيام طغيانك وعصيانك كانت مثل جبال الدنيا برمالها وبحارها وأنهارها، وتبت توبة واحدة بصدق وحرقة وندامة، ليغفرها لك مولاك الكريم بكرمه وفضله، ولا تسأل عنها يوم القيامة. أ هـ.

ورحم الله القائل:

يانفس توبى فإن الموت قد حانا	واعصى الهوى فالهوى ما زال فتانا
فى كل يوم لنا ميت نشيعه	ننسى بمصرعه آثار موتانا
يانفس مالى وللأموال أكنزها	خلفى وأخرج من دنياى عُريانا
ما بالنا نتعامى عن مصارعنا	ننسى بغفلتنا من ليس ينسانا؟
فكم رأينا أناساً صالحين قضوا	موتا وقد سلبوا دينا وإيمانا؟
واستبدلوا الكفر بالإيمان وانفصلوا	بسوء خاتمة للموت أعيانا
أبعد خمسين قد قضيتها لعبا	قد آن تقصيرها قد آن قد آن
أين الملوك وأبناء الملوك ومن	كانت تخر له الأذقان إذعانا؟
صاحت لهم حادثات الدهر فانقلبوا	مستبدلين من الأوطان أوطانا
أخلوا منازلا كان العز مفرشها	واستفرشوا حفرا غبرا وقيعانا
ياراكدا فى ميادين الهوى مرحا	ورافلا فى ثياب الغى نشوانا
مضى الزمان وولى العمر فى لعب	يكفيك ماقد مضى قد كان ماكانا

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد مالم يُغرغر»(١).

ويقول ﷺ: «إن الله جعل بالمغرب باباً عرضُه مسيرة سبعين عاماً للتوبة. لا يُغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى: ﴿يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾»(٢).

---

(١) الحديث، حسن: أخرجه أحمد فى المسند [٢/ ١٣٢] وأخرجه الترمذى فى السنن [٥/ ٥٤٧] كتاب الدعوات [٤٩] باب فى فضل التوبة... [٩٩] «ح» [٣٥٣٨] وابن ماجه فى السنن [٢/ ١٤٢٠] كتاب الزهد [٣٧] باب ذكر التوبة [٣٠] «ح» [٤٢٥٣] وابن حبان، وذكره الهيثمى فى موارد الظمآن [ص/ ٦٠٧] كتاب التوبة [٣٩] باب إلى متى تقبل التوبة [٢] «ح» [٦٤٤٩] وأخرجه الحاكم فى «المستدرك» [٤/ ٢٥٧] وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره ووافقه الذهبى وحسنه كذلك الشيخ الألبانى وراجع صحيح الجامع برقم [١٩٠٣].

(٢) الحديث: أخرجه أحمد فى «المسند» [٤/ ٢٤١] والطيالسى فى «المسند» «ح» [١١٦٨] وأخرجه ابن ماجه فى السنن[٢/ ١٣٥٣] كتاب الفتن [٣٦] باب طلوع الشمس من مغربها [٣٢] «ح» [٤٠٧٠] والترمذى فى السنن [٥/ ٥٤٦، ٥٤٧] كتاب الدعوات [٤٩] باب فضل التوبة [٩٩] «ح» [٣٥٣٦] وقال حديث حسن صحيح، والمزى فى «تحفة الأشراف» [٤/ ١٩٢] «ح» [٤٩٥٢] وعزاه للنسائى فى الكبرى، والطبرانى فى «الكبير» [٨/ ٧٠] «ح» [٧٣٦٠] وكذلك البيهقى فى «السنن الكبرى» [١/ ٢٨٢]، والسيوطى فى «الدر المنثور» [٣/ ٥٩] والطبرى فى تفسيره «جامع البيان» [٨/ ٧٢] سورة الأنعام.

سكرات الموت

يقول الله عز وجلّ: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكُنت منه تحيد. ونُفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد. وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد. لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾.

يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله: يقول الله عزّ وجلّ: وجاءت أيها الإنسان سكْرَةُ الموت الموت بالحق أى كشفت لك عن اليقين الذى كنت تمترى فيه: «ذلك ما كنت منه تحيد» أى هذا هو الذى كنت تفر منه قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص.

وقد اختلف المفسرون فى المخاطب بقوله: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد﴾ فالصحيح بذلك أن المخاطب هو الإنسان من حيث هو، وقيل الكافر، وقيل غير ذلك.

وقال أبو بكر بن أبى الدنيا: ثنا إبراهيم بن زياد سبلان، أخبرنا عباد بن عباد عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبيه، عن جده علقمة بن وقاص قال: أن عائشة - رضى الله عنها قالت: حضرت أبى رضى الله عنه وهو يموت، وأنا جالسة عند رأسه فأخذته غشية، فتمثلت ببيت شعر.

من لا يزال دمعه مقنعاً فإنه لابد مرة مدفوق

قالت: فرفع - رضى الله عنه رأسه فقال: يابنية ليس كذلك ولكن كما قال تعالى: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد﴾.

و... ثنا خلف بن هشام، ثنا أبو شهاب الخياط عن إسماعيل بن أبى خالد عن البهى قال: لما أن ثقل أبوبكر - رضى الله عنه جاءت عائشة - رضى الله عنها فتمثلت بهذا البيت:

لعمرك مايغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال رضى الله عنه: ليس كذلك، ولكن قولى: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد﴾.

وفى قوله: ﴿ذلك ما كنت منه تحيد﴾.

قولان: **أحدهما**: أن ماهنا موصولة أى الذى كنت منه تحيد بمعنى تبتعد وتتناءى وتفر قد حل بك ونزل بساحتك.

القول الثانى: أن ما نافية بمعنى ذلك ماكنت تقدر على الفراق منه ولا الحيد عنه.

وقد قال الطبرى فى المعجم الكبير: ثنا مؤمل بن على الصائغ المكى، ثنا حفص عن ابن عمر الحدى، ثنا معاذ بن محمد الهذلى عن يونس بن عبيد عن الحسن عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل الذى يفر من الموت مثل الثعلب تطلبه الأرض بدين، فجاء يسعى حتى إذا أعيى وأسهر دخل حجرة وقالت له الأرض: ياثعلب دينى، فخرج وله حصاص فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه، ومات**» ومضمون هذا المثل كما لا انفكاك له ولا محيد عن الأرض، كذلك الإنسان لا محيد له عن الموت[1].

ورحم الله القائل:

أسلمنى الأهل ببطن الثرى	وانصرفوا عنى فيا وحشتا
وغادرونى مُقْدَمًا بائسا	مابيدى اليوم إلا البكا
وكل ما كان كان لم يكن	وكل ماحذرته قد أتى
وذاكم المجموع والمقتنى	قد صار فى كفى كمثل الهبا
ولم أجد لى مؤنساها هنا	غير فجور كان لى أو خنا
فلو ترانى أو ترى حالتى	بكيت لى ياصاح مستعلنا

(1) انظر تفسير الحافظ ابن كثير [ص/ ٤٠١ـ ٤٠٣] ط. دار الأندلس. بيروت.

إخوانى: أين أحبابكم الذين سلفوا أين أترابكم الذين رحلوا وانصرفوا أين أرباب الأموال وما خلفوا ندموا على التفريط ياليتهم عرفوا هول مقام يشيب منه الوليد ؟

﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد﴾ واعجبا كلما دعيت إلى توانين وكلما حرتك المواعظ إلى الخيرات أبيت وتماديت وكم حذرك المنون فما انتهيت يا من جسده حى وقلبه ميت ستعاين عند الحسرات ما لا تريد **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد﴾**.

يا أخى كم أزعج المنون نفوساً من ديارهم وكم أباد البلى من أجساد منعمة لم يدارها وكم نقل إلى الحفائر أرواحا وزارها وكم أذل فى التراب خدوداً بعد مزأرها؟!!!

فابك يا أخى على نفسك قبل بكاء لا يفيد - **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد﴾** -

انتبه ياهذا فالدنيا أضغاث أحلام ودار الفناء لا تصلح للمقام ستفهم قولى بعد قليل من الأيام وماغاب عنك بعضه ستراه على التمام إذا جاء الكشف وذهب التقليد - **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد﴾** -

ويحك أما علمت أنك ترحل فى كل مرحله أما علمت أنه يحصى عليك من الأعمال خردلة وكم من مؤمل خاله فى الحساب ما أمله غامضه مر القضاء وعاجله ولم تبلغه الآمال إلى ما يريد - **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد﴾**.

يامعرضا عن المولى إلى متى هذا الإعراض وقد ولى شبابك فى طلب الإعراض أما علمت ويحك أن عمرك فى انقراض وقواك كل ساعة فى انتقاض ويحك تزود فالسفر والله بعيد -

﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد﴾- يامن يجلس فى المجالس وقلبه فى الأسباب يامن تنقصنى المواعظ وهو ماتاب.

يا من كسته المعاصى ظلمة الحجاب يامن أغلق الهوى فى وجهه الأبواب نح

على نفسك فربما ينفع التعديد -

﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾.

أما علمت أن الموت لك بالمرصاد أما صاد غيرك ولك سيطاد أما بلغك مافعل بسائر القصاد أما حذرك غفلتك عنه فى كل موطن وواد أما سمعت قول الملك المجيد: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد﴾.

عباد الله تدبروا القرآن المجيد واحضروا قلوبكم بفهم الوعد والوعيد ولا زموا طاعة الله فهذا شأن العبيد واحذروا غضبه فكم قصم من جبار عنيد ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ أين مَنْ بنى وشاد وطول وتآمر على العباد وسارق الأول وفى ظن جهلا منه أنه لا يتحول فسقوا إذ فسقوا كاسا على هلاكهم عول أتراهم لم يسمعوا الإنذار بالموت والتهديد -

﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد﴾.

فيا من أنذره يومه وأمسه وحادثه بالعبر قمره وشمسه وهو مصر على الخطايا وقد دنا رمسه وهو غافل عما جاء بالزجر والوعيد -

﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد﴾.

أما علمت أيها الإنسان إنك مسؤول عن الزمان ومحاسب على خطوات القدم وهفوات اللسان وتشهد عليك جوارحك بما فعلت فى زمن الإمكان أما علمت أن الموت لك بالمرصاد وهو أقرب إليك من حبل الوريد.

﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد﴾ فيا من ينظر العبر بعينيه ويسمع المواعظ بأذنيه وكلماته معدودة عليه ونذير الموت قد دنا إليه بالإسرع والتأكيد -

﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد﴾. كأنك بالموت وقد اختطفك اختطاف البرق ولم تقدر على دفعه عنك بملك الغرب والشرق وتأسفت على ترك الأول والآخر الأسف الشديد - ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد﴾.

ويقول العلامة ابن كثير [1]: ذُكر عن الإمام أحمد أنه كان يئن فى مرضه

(١) انظر «تفسير ابن كثير» ط. دار الأندلس بيروت.

فبلغه عن طاوس أنه قال: يكتب الملك كُلَّ شيء حتى الأنين فلم يئن الإمام أحمد حتى مات - رحمه الله تعالى.

وقالت عائشة - رضى الله عنها فى أثناء موت رسول الله ﷺ: وبين يديه ركوة فيها ماء فجعل يُدخل يده فى الماء فيمسح بها وجهه ويقول: **«لا إله إلا الله إن للموت سكرات»** ثم نصب يده فجعل يقول: **«فى الرفيق الأعلى»** حتى قُبض ومالت يدُه[1].

فقد بين الرسول ﷺ شدة الموت ومرارته نصيحة منه لأمته لكى يستعدوا ويصبروا على شدائد الدنيا، لأن الصبر على شدة فى الدنيا أيسر من شدة الموت، لأن شدة الموت من عذاب الآخرة. وعذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا.

ويقول السمرقندى[2]: خرجت طائفة من بنى إسرائيل حتى أتوا مقبرة فقالوا: لو صلينا ثم دعونا ربنا حتى يخرج لنا بعض الموتى فيخبرنا عن الموت، فصلوا ودعوا الله فبينما هم كذلك، إذا رجل قد أطلع رأسه من قبر أسود خلاسياً فقال: ياهؤلاء ما تريدون؟ فوالله لقد مت منذ تسعين سنة فما ذهبت مرارة الموت منى حتى كأنه الآن، فادعوا الله تعالى أن يعبدنى كما كنت وكان بين عينيه أثر السجود. وعن الحسن عن النبى ﷺ قال: **«قدر شدة الموت وكربه على المؤمن كقدر ثلاثمائة ضربة بالسيف»**[3].

وروى أن موسى عليه السلام لما صارت روحه إلى الله. قال له ربه: ياموسى

(١) الحديث، صحيح: أخرجه البخارى فى صحيحه [٨/ ١٤٤] كتاب المغازى [٦٤]، باب مرض النبى ﷺ ووفاته [٨٣] «ح» [٤٤٤٩].

(٢) هذا الخبر إسرئيى: يصلح للإستشهاد، ويقول ابن كثير للاستشهاد لا للاعتضاد فإنها على ثلاثة أقسام. أحدها: ماعلمنا صحته مما بين أيدينا فذاك صحيح. الثانى: ماعلمنا كذبه فلا نقبله. ثالث: ماهو مسكوت عنه فيجوز حكايته. أنظر تفسيره [١/ ٤] ط. دار الغد العربى. وقد كان ابن عمرو يحدث بالأخبار الإسرائيلية، لأنه قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما ... أنظر التفسير [١/ ٤].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكر حديث «حدثوا عن بنى إسرائيل..» وخبر ابن عمرو: ولكن هذه الأحاديثالإسرائيلين تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد وراجع «التفسير والمفسرون» [٢/ ٣١] وراجع ماقلناه فى «التوابين» - بتحقيقى. ط. دار المنار. فياض.

(٣) الحديث مرسل (ضعيف): راجع تنزيه الشريعة المرفوعة [٢/ ٣٦٥] و«تنبيه الغافلين» [ص/ ١٧] بتحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبى - حفظه الله. ط. دار المنار. - فياض.

كيف وجدت الموت؟ قال وجدت نفسى كالعصفور الحى حين يُقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير.

وروى عنه أنه قال: وجدت نفسى كشاة تسلخ بيد القصاب وهى حية[1].

وصدق القائل:

إن للموت سكرة فارتقبها	لا يداويك إذ أتتك طبيب
ثم تثوى حتى تصبر رهيناً	ثم تأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليم	فاعلمن جاهداً لها يا أريب
إن للموت سكرة فارتقبها	لا يداويك إذ أتتك طبيب
ثم تثوى حتى تصير رهيناً	ثم يأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليم	فاعلمن جاهداً لها يا أريب
وتذكر يوماً تحاسب فيه	إن من يذكر الممات يُنيب
ليس فى ساعة من الدهر إلا	للمنايا عليك فيها رقيب
كل يوم ترميك منها بسهم	إن يخطئ يوماً فسوف يصيب

وعن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولم يلحد بعد، فجلس النبى ﷺ وجلسنا حوله فكأن على رؤسنا الطير وفى يده عود ينكت به الأرض، يعنى يحفر به فرفع رأسه وقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثة ثم قال:

«أن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيضُ الوجوه، كأن وجوهم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة، أخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعَوها

(١) هذه كلها أخبار إسرائيلية وراجع ماقلناه على الخبر الإسرائيلى.

فى يده طرفة عين حتّى يأخذوها، فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلانُ بن فلان، بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنّيا ـ حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيًا، فيستفتحون لهُ، فيفتح له فُيشيِّعهُ من كل سماء مقربها إلى السماء التى تليها، حتّى ينتهى إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدى فى علّيِّين، وأعيدوا عبدى إلى الأرض، فإنى منها خلقتهم، وفيها أُعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى. فتعادُ روحه، فيأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربى الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: دينى الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وماعلمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدّقت، فينادى مُناد من السماء أن صدق عبدى. فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بًاباً إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها ويُفسح لهُ فى قبره مدَّ بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الرائحة فيقولُ: أبشر بالذى يسرك، هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجُهك الوجه يجىء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: ربٍّ أقم الساعة، ربٍّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى.

وإنَّ العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سودُ الوجوه، معهم المُسوح، فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة! اخرجى إلى سخط من الله وغضب، فتفرَّقُ فى جسده فينتزعها.كما ينتزع السفُّود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدُعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلها فى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثه؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائهً التى كان يسمى بها فى الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾ فيقول الله عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى، فتطرحُ روحُهُ طرحاً، فتعاد روحه فى جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له منْ ربك؟ فيقول: هاهْ هاهْ لا أدرى، فيقولان له: مادينك؟

فيقول: هاهْ هاهْ لا أدري، فيقولان له: ماهذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هاهْ هاهْ لا أدرى، فينادى منادٍ من السماء: أن كذَب عبدى، فأفرشُوهُ من النار، وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب متن الريح، فيقول: أبشر بالذى يسوؤك، هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجىء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: ربِّ لا تقم الساعة»[2].

ورحم الله القائل:

خلقت من التراب بغير ذنب	وعدت إلى التراب ولى ذنوب
فما لى لا أجاهد فى خلاص	بعزم للمعاصى لا أتوب؟
ومالى أثقلت ظهرى ذنوب	ومنها لا أمل ولا أنيب؟
ومالى لا أرق لسوء حالى	ومن نفسى على غدا رقيب؟
ومالى مبعد مُقصى طريد	وفى كل القبائح لى ضروب؟
وكم بالبر تسويفى ومطلى	ولا أدرى متى تأتى شعوب؟
فيامن ليس لى رب سواه	عليم بالذى أدعو يجيبْ
تجاوز يا إلهى عن ضعيف	بغفران لعلى عسى أتوب

وعن حوثرة بن محمد المنقرى البصرى قال: رأيت يزيد بن هارون الواسطى فى المنام بعد موته بأربع ليال، فقلت: مافعل الله بك، قال: تقبل منى الحسنات وتجاوز عن السيئات ووهب لى التبعات قلت: وماكان بعد ذلك؟ قال: وهل يكون

---

(١) قلت: قوله ﷺ: «فلان بن فلان..» يدل على أن الإنسان يدعى باسم أبيه وليس باسم أمه كما يفهم البعض وقال القرطبى: قوله ألا إن فلان بن فلان دليل على أن الإنسان يدعى فى الآخرة باسمه واسم أبيه، وقد جاء صريح من حديث أبى الدرداء: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم» وراجع التذكرة و «الفزع الأكبر» [ص/ ٢٤٦] للقرطبى - رحمه الله.

(٢) الحديث، صحيح: أخرجه أبو داود كتاب السنة، باب المسألة فى القبر وعذاب القبر [٤/ ٤٧٥٣] وابن ماجه فى سننه [١٥٤٨] والنسائى [٤/ ٧٨] وابن المبارك فى «الزهد» [١٢١٩] والطيالسى فى «المسند»[٧٥٣] وأحمد فى «المسند» [٤/ ٢٨٧] و[٦/ ٣٦٢] والحاكم فى «المستدرك» [١/ ٣٧، ٣٨] وصححه الشيخ الألبانى وراجع صحيح الجامع برقم [١٦٧٦]، وأحكام الجنائز [١٥٥].

من الكريم إلا الكرم، غفر لى ذنوبى وأدخلنى الجنة.

قلت: بما نلت الذى نلت؟ قال: بمجالس الذكر، وقولى الحق، وصدقى فى الحديث، وطول قيامى فى الصلاة، وصبرى على الفقر. قلت: ومنكر ونكير حق؟ قال: إى والله الذى لا إله إلا هو لقد أقعدانى وسألانى فقال لى: منْ ربك؟ وما دينك؟ ومنْ نبيك؟ فجعلت أنفض لحيتى البيضاء من التراب، فقلت: مثلى يُسأل؟ أنا يزيد بن هارون الواسطى، وكنت فى دار الدنيا ستين سنة أعلم الناس؟ قال أحدهما: صدق، وهو يزيد بن هارون: نم نومة العروس، فلا روعة عليك بعد اليوم(1).

وما هذه الدنيا بدار إقامة	فيحزن فيها القاطن والمترحل
هى الدار إلا أنها كمفازة	أناخ بها ركب وركب تحملوا
وكل وإن طال الثّواء مصيره	إلى موردٍ ماعنه للخلق معدل

وروى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه قال: حضرت أبى أحمد، وبيدى الخرقة لأشد لحييه، فكان يغرق ثم يفيق، ويقول بيده لا وبُعداً، لا وبُعداً، فعل هذا مراراً فقلت له: يا أبت أى شىء ما يبدو منك؟ فقال: إن الشيطان قائم بحذائى عاض على أنامله يقول: يا أحمد: فتنى، وأنا أقول: لا بعدلا، كلا وبعداً، لا بعد لا حتى أموت.

إخوانى: ماهذه الغفلة وإلى البلى المصير وماهذا التوانى والعمر قصير وإلى متى هذا التمادى فى البطالة والتقصير وماهذا الكسل وقد أنذرك النذير خلفك والله عد باب الحبيب سوء التدبير فالى متى تتبهرج والناقد بصير؟ ياهذا جولانك فى البطالة حيرك وركونك إلى اغترارك غيرك وهروبك عمن صورك إلى النار صيرك لنسيت مصرعك فى القبر لا بدلك وقد سود العصيان قلبك وبد لك أما تذكر ساعة لا يعرف لها الجبين وتخرس من فجآتها الألسن وتفطر قطرات الأسف من الأعين فتذكروا رحكم الله فالأمر شديد، وبادروا بقية أعماركم فالندم بعد الموت لا يفيد ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد﴾.

(1) انظر «شرف أصحاب الحديث» للخطيب البغدادى.

ورحم الله القائل:

عجبت لجازع باكٍ مصاب ... بأهل أو حميم ذى اكتئاب
شقيق الحبيب، داعى الويل جهلاً ... كأن الموت كالشىء العجاب
وسوى الله فيه الخلق حتى ... نبى الله منه لم يحاب
له ملك ينادى كل يوم ... لدوا للموت وابنوا للخراب

ويروى أن فارساً مر بغلام فساله ياغلام أين العمرانِ؟ فقال له: اصعد الشرف فصعد الفارس الشرف فأشرف على المقابر فقال فى نفسه: إن هذا الغلام إما جاهل أو حكيم فرجع إليه فقال له: ياغلام سألتك عن العمران فدللتنى على المقابر، فقال الغلام: إنى رأيت أهل تلك ينقلبون إلى هذه ولم أر أحداً ينقلب من هذه إلى تلك، وإنما ينقلب من الخراب إلى العمران ولو سألتنى عما يواريك ودابتك لدللتك.

وأما حديث « لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم بنو آدم، ما أكلتم منها سميناً»: ضعيف[1].

رحم الله القائلة:

بالله ياقبر هل زالت محاسنه ... وهل تغير ذاك المنظر النضر؟
ياقبر ما أنت لا روض ولا فلك ... فكيف يجمع فيك الشمس والقمر؟

وذكر المحاسبى فى «الرعاية»: أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام: ياخليلى كيف وجدت الموت؟

قال: كسفود محمى جعل فى صوف رطب، ثم جذب قال: «أما إنا قد

---

(١) الحديث، ضعيف جداً: اخرجه البيهقي فى «شعب الإيمان» بنحوه، وراجع الإتحاف [٢٢٦، ٢٢٧]، ونقله العجلونى وقال: رواه البيهقى فى «الشعب» والقضاعى عن أم حبيبة مرفوعاً، ورواه الديلمى عن أبى سعيد رفعه بلفظ «لو علمت البهائم من الموت ماعلمتم ما أكلتم منها لحماً سميناً» وضعفه الألبانى. وراجع ضعيف الجامع برقم [٤٨١٣] والضعيفة برقم [٤٣٥٣] وانظر: «تنبيه الغافلين» [ص/ ٢٠] تحقيق الشيخ الزغبى ـ حفظه الله.

هونا عليك يا إبراهيم [١] .

قال شهر بن حوشب[٢]: ولما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال له ابنه: يا أبتاه، إنك لتقول لنا: ليتنى كنت ألقى رجلاً عاقلاً لبيباً عند نزول الموت حتى يصف لى ما يجد. وأنت ذلك الرجل فصف لى الموت فقال:

يابنى .والله كأن جنبى فى تخت وكأنى أتنفس من سم إبرة، وكأن غصن شوك يجذب من قدمى إلى هامتى ثم أنشأ يقول:

ليتنى كنت قبل ماقد بدا لى ... فى تلال الجبال أرعى الوعولا

ورحم الله القائل:

ألا للخراب بنى العامرونا ... وللموت ما ولد الوالدونا

وعما قليل يرى الآخرون ... عجائب ماقد رأى الأولون

ويشقى أناس بما جمعوا ... ويسعد بالقلة الزاهدونا

ولا يرحمون إذا ما بكوا ... ولا يرتجى الرحمة الظالمونا

ويسأل قوم هناك الرجوع ... فلا يرجعون ولا يكرمونا

وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى أناس من أصحابه يوصيهم فكان فيما أوصاهم به أن كتب إليهم: أما بعد: فإنى أوصيكم بتقوى الله العظيم، والمراقبة له، واتخذوا التقوى والورع زاداً فإنكم فى دار عما قريب تنقلب بأهلها، والله فى عرضات القيامة وأحوالها، يسألكم عن الفتيل والنقير فالله الله عباد الله اذكروا الموت الذى لابد منه واسمعوا قول الله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿كل منْ عليها فان﴾.

---

(١) أنظر« التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة» [ص/٢٣] تحقيق الشيخ أحمد عبد الملك الزغبى.

(٢) شهر بن حوشب: قال أحمد: روى أحاديثًا حساناً عن أسماء. وقال أبو حاتم: لا يحتج به. وقال أبو زُرْعة: لا بأس به. وقال النسائى وابن عدى: ليس بالقوى. وقال الفلاس: كان يحيى بن سعيد لا يحدث عن شهر، وكان عبد الرحمن يحدث عنه. قال ابن عدى: شهر ممنْ لا يحتج له ولا يتدين بحديثه. وقال الذهبى: ذهب إلى الإحتجاج به جماعة. وقال البخارى وغيره: مات سنة مائة، وقال يحيى بن بكير: سنة إحدى عشرة ومائة. . وراجع «التهذيب» [٤/٣٦٩] و«ميزان الإعتدال» [٢/٤٧٣ ـ ٤٧٤ ـ ٤٧٥] برقم [٣٧٥٦].

وقيل: مر داود الطائى بامرأة تبكى على قبر وهى تنشد هذه الأبيات:

عدمت الحياة فلا نلتها … إذا أنت فى القبر قد أوسدوكا
وكيف ألذ بطعم الكرى … وها أنت فى القبر قد أفردوكا؟

ثم قالت: يا أبتاه بأى خديك بدأ الدود؟ قال: فخر داود مغشياً عليه.

وذكر نفسك ومثل نفسك يامغرور وقد حلت بك السكرات، ونزل بك الأنين والغمرات. فمن قائل يقول: إن فلاناً قد أوصى ولماله قد أحصى. ومن قائل يقول: إن فلاناً ثقل لسانه فلا يعرف جيانه، ولا يكلم إخوانه، فكأنى أنظر إليك تسمع الخطاب، ولا تقدر على رد الجواب ثم تبكى ابنتك وهى كالأسيرة، وتتضرع وتقول: حبيبى أبى من لِيُتْمِى مِنْ بعدك؟ ومنْ لحاجتى؟ وأنت والله تسمع الكلام ولا تقدر على رد الجواب وأنشدوا:

وأقبلت الصغرى تمرغ خدها … على وجنتى حيناً وحيناً على صدرى
وتخمش خديها وتبكى بحرقة … تنادى: أبى إنى غلبت على الصبر
حبيبى أبى من لليتامى تركتهم … كأفراخ زغب فى بعيد من الوكر؟

فخيل لنفسك يا ابن آدم إذا أخذت من فراشك، إلى لوح مغتسلك فغسلك الغاسل، وألبست الأكفان، وأوحش منك الأهل والجيران، وبكت عليك الأصحاب والإخوان، وقال الغاسل:

أين زوجة فلان تُحَالِلهُ؟ وأين اليتامى؟ ترككم أبوكم فما ترونه بعد هذا اليوم أبداً، وأنشدوا:

ألا أيها المغرور مالك تلعب … تؤمل آمالا وموتك أقرب
وتعلم أن الحرص بحر مبعد … سفينته الدنيا فإياك تعطب
وتعلم أن الموت ينقض مسرعاً … عليك يقيناً طعمه ليس يعذب
كأنك توصى واليتامى تراهم … وأمهم الثكلى تنوح وتندب
تغص بحزن ثم تلطم وجهها … يراها رجال بعد ما هى تحجب
وأقبل بالأكفان نحوك قاصد … ويحثى عليك التراب والعين تسكبُ

يقول القرطبى[1]: قال علماؤنا ـ رحمة الله عليهم: فإذا كان هذا الأمر قد أصاب الأنبياء والمرسلين والأولياء والمتقين فما لنا عن ذكره مشغولين؟ وعن الاستعداد له متخلفين؟ «قُل هو نبأ عظيم أنتم عنه مُعرضون» قالوا: وماجرى على الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين من شدائد الموت وسكراته، فله فائدتان:

إحداهما: أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت وأنه باطن وقد يطلع الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقاً ويرى سهولة خروج روحه، فيغلب على ظنه سهولة أمر الموت ولا يعرف ما الميت فيه؟ فلما ذكر الأنبياء الصادقون فى خبرهم شدة ألمه، مع كرامتهم على الله وتهوينه على بعضهم، قطع الخلق بشدة الموت الذى يعانيه ويقاسيه الميت مطلقاً لإخبار الصادقين عنه.

الثانية: ربما خطر لبعض الناس أن هؤلاء: أحباب الله، وأبنياؤه ورسله، فكيف يقاسون هذه الشدائد العظيمة؟ وهو سبحانه قادر أن يخفف عليهم أجمعين، كما قال فى قصة إبراهيم: «أما إنا قد هوّنا عليك» فالجواب: «أن أشد الناس بلاء فى الدنيا الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» كما قال نبينا عليه السلام خرجه البخارى [2] وغيره.

فأحب الله أن يبتليهم تكميلاً لفضائلهم لديه، ورفعة لدرجاتهم عنده، وليس ذلك فى حقهم نقصاً ولا عذاباً. بل هو كما قال، كمال رفعة، مع رضاهم بجميل مايجرى الله عليهم، فأراد الحق، سبحانه وتعالى أن يختم لهم بهذه الشدائد، مع إمكان التخفيف والتهوين عليهم، ليرفع منازلهم، ويعظم أجورهم قبل موتهم أ هـ.

---

(١) انظر «التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الأخرة» [ص/٢٥ ـ ٢٧] بتحقيق أخينا الشيخ أحمد عبد الملك الزغبى ـ تحت الطبع.

(٢) الحديث، صحيح: أحمد فى المسند، وابن ماجه فى السنن، والحاكم فى المستدرك من رواية سعد ـ رضى الله عنه، وعند غيرهم من رواية أبى سعيد عند الترمذى فى السنن [١١٧٩/٤] كتاب الزهد [٣٧] باب ماجاء فى الصبر على البلاء [٥٧] «ح» [٢٤٠٦] وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه كذلك أحمد فى المسند [١٦٠٧/١] وابن ماجه فى ـ الفتن ـ [٤٠٢٣] باب [٢٣] الصبر على البلاء. والبيهقى [٣/ ٣٧٢] وابن حبان فى صحيحه [٢٩٠١] وأبو يعلى [٨٣٠] والبزار فى «كشف الأستار» [١١٥٤] والدارمى [٢/ ٣٢٠] والحاكم [١/ ٤١] ورجاله ثقات الاعاصم بن بهدلة. وهو صدوق وصححه الشيخ الألبانى العجلونى وراجع صحيح الجامع بأرقام [٩٩٢] و [٩٩٤] و [٩٩٥] و [٩٩٦] والسلسلة الصحيحة برقم [١٤٤] و [١٤٥] وذكر طرقه العجلونى فى «كشف الخفا» [١/ ١٤٤، ١٤٥] برقم [٣٧٢].

قال بعض الصالحين: زرت مرة القبور حين عج بقلبى لهيب النار فأقمت عندها برهة من الزمان أنظر إليها بعين الاعتبار وأناجى صرعاها بالعشى والإبكار وأجلس إليها فى الأصائل والأسحار فجال فكرى فى مجال التفكير والاعتبار بخطاب نظمته من محاسن الأشعار:

أحبابنا فارقتمونا فأوحشت ... قلوب لناس بعدكم وديار
فكم قد تذاكرنا محاسن من مضى ... فجاءت دموع للفراق غزار
قضوا وقضيتم ثم نقضى فلابقا ... لحى وكاسات المنون تدار
وكنا وإياكم نزور مقابراً ... ومتم فزرناكم وسوف نزار
سقت ديمة الرضوان رياثرا كمو ... وسحت لها فى ساحتيه بحار

فأجاب لسان الحال فى الحال عما أبديت من المقال:

يقول لسان الحال إذا خرس الردى ... لسانالهم منه الفصيح يغار
شربنا بكأس أسكرتنا مريرة ... الأرب سكر ماحواه عقار
فلا يغترر بالله من عاش بعدنا ... بعيش فأيام الحياة قصار
وإنا وجدنا خير أزوادنا التقى ... هو الربح حقا ماعداه خسار
ومالعيش إلا زورة الطيف فى الكرى ... وماهذه الدنيا الدنية دار

يا من ركن إلى الدنيا بإقامة وثبات احذر أسد الموت فإن له وثبات كيف تركن إلى اللذات وقد جاء فى طلبك الممات واعتبر ياهذا بمصارع الهالكين ففيهم لدى التفكر عظات.

قال الأصمعى ـ رحمه الله تعالى: كنت كثير التفكر فى عجائب الأمور وأجيل الفكر فى البعث والنشور وأتسلى بقراءة الكتابة على القبور فمن ذلك رأيت ثلاثة قبور على صف وعليها لوح مكتوب عليه:

ألا قل لماش على قبرنا ... غفول لأشياء حـــلت بنا
سيندم يومـــاً لتفريطـه ... كما قـــد ندمنا لتفريطنا

وقال أيضاً وجدت على حجر مكتوباً فى مقبرة:

وقفت على الأحبة حين صُفت قبورهـم كأفـراس الرهـان

فلما أن بكيت وفاض دمعى رأت عينـاى بينهـمو مكانـى

قال: ومشيت قليلاً ودمعى مسكوب، وقلبى من فراق الأحباب مسلوب.

وروى أن الرشيد لما اشتد مرضه أحضر طبيباً طوسياً فارسياً وأمر أن يعرض عليه ماؤه أى بوله مع مياه كثيرة لمرضى وأصحاء، فجعل يستعرض القوارير حتى رأى قارورة هارون فقال: قولوا لصاحب هذا الماء يُوصى. فإنه قد انحلت قواه وتداعت بنيته، ولما استعرض باقى المياه أقيم فذهب، فيئس الرشيد من نفسه وأنشد:

إن الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع نحب قد أتى

ما للطبيب يموت بالداء الذى قد كان أبرأ مثله فيما مضى

مات المداوى والمداوى والذى جلب الدواء أو باعه، ومن اشترى

وبلغه أن الناس أرجفوا بموته فاستدعى حماراً وأمر أن يحمل عليه فاسترخت فخذاه.

فقال: أنزلونى صدق المرجفون، ودعا بأكفان فتخير منها ما أعجبه وأمر فشق له قبر أمام فراشه ثم إطلع فيه فقال: ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سُلطانيه فمات من ليلته - رحمه الله.

كما روى عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه أنه أُتى بإناء ماء ليشرب منه فأخذه بيده ونظر إليه وقال: الله أعلم كم فيك من عين كحيل، وخد أسيل.

يقول ابن الجوزى - رحمه الله تعالى: معاشر الموتى وأبناء الموتى أنتم موتى بلا محالة وإنما سبقكم إخوانكم إلى مناخ القبور، فإذا استكمل ولد آدم من أولهم وآخرهم قام الكل للعرض والنشور، على الملك الغفور، فاستعدوا لذلك المقام،

---

(١) أنظر «الروض» [ص/ ١٩ - ٢٠ - ٢١].

(٢) أنظر «التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة» [ص/ ٢٩ - ٣٠] تحقيق أخينا الشيخ أحمد عبد الملك الزغبى - تحت الطبع.

واجتنبوا الأوزار والآثام وبادروا بالتوبة قبل نزول الحمام.

ذكر بعض الصالحين أنه قال: رأيت فى المنام رجلا وهو فى برية وأمامه غزاله يجرى خلفها وهى تفرمنه، وأسد كأعظم ما يكون خلفه وقد هم أن يلحقه، والرجل يرد رأسه وينظر إلى الأسد فلا يجزع منه، ثم جرى خلف الغزالة حتى لحق به الأسد فقتله، فوقفت الغزالة تنظر إليه وهو مقتول، إذ جاء رجل آخر قد فعل ما فعله المقتول فقتله الأسد ولم يدرك الغزالة، فخرج آخر ففعل كذلك، قال: فما زلت أعد واحداً بعد واحدٍ حتى عددت مائة رجل صرعى والغزالة واقفة.

فقلت: إن هذا لعجب، فقال الأسد: مم تعجب؟ وما تدرى منْ أنا؟ ومنْ هذه الغزالة؟ فقلت: لا، فقال: أنا ملك الموت وهذه الغزالة الدنيا، وهؤلاء أهلها يجدون فى طلبها وأنا أقتلهم واحداً بعد واحدٍ حتى آتى على آخرهم، فاستيقظ فزعاً مرعوباً وأنشدوا:

حتى متى وإلى متى نتوانى ... وأظن هذا كله نسيانا؟
والموت يطلبنا حثيثاً مسرعاً ... إن لم يزرنا بكرة مسانا
إنا لنوعظ بكرة وعشية ... وكأنما يعنى بذاك سوانا
غلب اليقين على التشكك فى الردى ... حتى كأنى قد أراه عيانا
يا من يصير غدا إلى دار البلى ... ويفارق الإخوان والخلانا
إن الأماكن فى المعاد عزيزة ... فاختر لنفسك إن عقلت مكانا
وانظر لنفسك إن أردت تعزها ... قبل الممات ولا تكونن مِهْوَاناً

واعلموا عباد الله أن ما من جماعة وإن كثرت إلا والموت يقللها حتى يفنيها عن آخرها وإنما أعمارها عوار والعارية لا تبقى، يرجع الكل إلى الله تعالى يفصل بينهم بالحق وهو خير الفاصلين، فشقى وسعيد، ومنعم ومعذب. وأنشدوا:

وما أهل الحياة لنا بأهل ... ولا دار الفناء لنا بـــدار
وما أموالنـا إلا عــوار ... سيأخذها المعير من المعار

حكى عن ابن السماك ـ رحمه الله ـ أنه حضر يوماً جنازة فلما نظر إلى القبور بكى وقال لأصحابه: معشر الإخوان ألا متأهب لموت يوصف له ويراه أمامه؟ ألا مستعد ليوم فقره ونزوله إلى حفرته وقبره؟ ألا شاب عازم قد بارز لمنيته؟ألا من ليس يغيره شباب متنه ولا شدة قوته؟ ألاشيخ قد بادر لانقضاء مدته فشمر السَير فيما بقى من رمقه؟ ماذا ينتظر من دفن أباه، وقبر أمه وأخاه؟ ما فرح من القبر مأواه، والتراب فراشه وغطاه. وأنشدوا:

ألا إنما الدنيا بلاء وفتنة ... وبينا الفتى فيها مهاب مسود

إذا انقلبت عنه وزال نعيمها ... فأصبح من تراب القبوريمهد

فكن خائفاً للموت والقبر بعده ... ولا تك ممن غره اليوم أوغد

وروى أن الأصمعى ـ رحمه الله تعالى ـ مر بأعرابى وهو واقف على مقبرة فقال له الأصمعى: يا أخا العرب ما هذا الموضع الذى أنت فيه؟ فقال:

هذى منازل أقوام عهدتـــهـــــم ... فى رغد عيش نفيس ما له خطر

صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا ... إلى القبور فلا عــين ولا أثـــــر

ويقول رسول الله ﷺ «تحفة المؤمن الموت»[1].

حكى عن بعض الصالحين ـ رحمه الله ـ أنه قال: دخلت على مريض وهو فى شدة السكرات فقلت له: كيف تجدك؟ فبكى ثم قال:

رحلت عن الدنيا وقامت قيامتى ... غداة أقل الحاملون جنازتى

وعجل أهلى حفر قبرى وصيروا ... خروجى وتعجيلى إليه كرامتى

كأنهم لم يعرفوا قط صورتى ... غداة أتى يومى عَلَىَّ وساعتى

(١) الحديث حسن لغيره: أخرجه ابن المبارك فى «الزهد» [ص/٢١٢] «ح» [٥٩٩]. وذكره الهيثمى فى «مجمع الزوائد» [٢/ ٣٢٠] وقال: رواه الطبرانى فى الكبير، ورجاله ثقات وأخرجه عبد بن حميد فى «المسند» «ح» [١٠٦٦]ـ مخطوطة دمشق، والحاكم فى «المستدرك» [٤/ ٣١٩] ـ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه،وتعقبه العلامة الذهبى فقال: قلت ابن زياد هو الأفريقى: ضعيف، وأخرجه كذلك القضاعى فى «مسند الشهاب» [١/ ١٢٠، ١٢١] باب [١٠٥] «ح» [١٥٠] وأبو نعيم فى الحلية [٨/ ١٨٥] [٣٩٧] والخطيب التبريزى فى «المشكاة» [١/ ٥٠٥] وعزاه للبيهقى فى «الشعب». وضعفه الشيخ الألبانى. وراجع ضعيف الجامع برقم [٢٤٠٤] والمشكاة برقم [١٦٠٩].

قُلت: وأرى أن الحديث حسن لغيره، لأن رواية الطبرانى تقوى الحديث، فقد قال الهيثمى: ورجاله ثقات، وقال المنذرى: رواه الطبرانى بإسناد جيد. وراجع الترغيب [٤/ ١٦٨].

إخوانى: ماهذا لمن مضى، بل الله لمن بقى، لابد من القبر ووحشته، ومن الموت وسكرته، فانظروا لأنفسكم ما دام النظر ينفعكم، وتفكروا فى وحشة القبر ما دام التفكر يباح لكم، من قبل وقوع السكرة ونزول الحسرة، وحيث لا تقال العثرة، فإن الأيام غرور، وهى طريق إلى القبور. وأنشدوا:

ما للمقابر لا تجيب — إذا دعاهن اللبيب
حفر يستر فوقهن من — الجنادل والكثيب
فيهن أطفال وولدان — وشباب وشيب
كم من حميم لم يكن — نفسى بفرقته تطيب
غادرته فى بعضهن — مجندلاً وهو الحبيب

قال الحسن ـ رحمه الله ـ: قد علم الله منا قبل أن يخلقنا أننا نذنب ونعصيه ولم يمنعه ذلك منا أن جعلنا مسلمين. فالله الله يا أهل الذنوب مثلى بادروا قبل نزول السكرات، ووقوع الحسرات واجتهدوا فإن الموت آت، وكل آت فهو قريب، قد آن وكلما آن فقد حان.

ذكر عن أبى العتاهية ـ رحمه الله ـ أنه دخل على الرشيد يوماً، فقال له الرشيد: أنشدنى، فقال: اجعل لى الأمان، قال: أنت آمن فأنشأ وأنشد:

لا تأمن الموت فى طرف ولا نفس — وإن تسترت بالحجاب والحرس
واعلم بأن سهام الموت قاصدة — لكل مدرع منا ومترس
مابال دينك ترضى أن تدنسه — وثوبك الدهر مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها — إن السفينة لا تجرى على اليبس

فهيا يا إخوانى نزهد فى الدنيا ونتفكر فى الموت وشدته وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعد ما أصدقه ومن حاكم ما أعدله كفى بالموت مقرحاً للقلوب، ومبكياً للعيون، ومفرقاً للجماعات وهادماً للذات، وقاطعاً للأمنيات، فهل تفكرت يا ابن آدم فى مصرعك، وانتقالك من موضعك، وإذا نقلت من سعة إلى ضيق، وخانك الصاحب والرفيق، وهجرك الأخر والصديق وأخذت من

فراشك وغطائك إلى عرر، وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر، فيا جامع المال، والمجتهد فى البنيان، ليس لك والله من مالٍ إلا الأكفان، بل هى والله للخراب والذهاب وجسمك للتراب والمآب. ولن يتحقق ذلك إلا بالزهد فى الدنيا وأنظر إلى هذا الموقف:

بقى الليل

مكث بشر الحافى خمسين سنة يشتهى الهريسة، ففتح الله عليه فى بعض الأيام بدرهم فمضى إلى السوق ليشتريها به فسمع الهراس [صاحب الهريسة] ينادى ويقول: ماذا خبئ للصوام فرجع بشر باكياً ولم يَشْتَرِ شيئاً فبقى مدة تطالبه نفسه بها فخرج إلى السوق ثانياً ليشتريها وإذا بالهراس ينادى: بقى القليل. فبكى بشر ورجع وعاهد الله أن لا يذوقها.

إخوانى: آه علي منْ كانت النار مثواه آه على منْ عصى مولاه، آه على منْ باع آخرته بدنياه، آه على من كان التعذيب عقباه، آه على من استهواه غيه فاستعبده هواه، آه على المطرود من آخرته ودنياه:

ورحم الله القائل:

يا منْ تقدم جده وأبوه	وصديقه سكن الثرى وأخوه
وغدا إلى دار البلى أترابه	ومضى إلى حفر القبور بنوه
ورأى مصارع إخوة وقرابة	بين الثرى فى برزخ سكنوه
ألا أتيت قبورهم فسألتها	عنهم وعن ما فى القبور لقوه؟
فلتخبرنك أن أحكام البلى	تجرى عليهم هموا وطنوه
وليخبرنك أنهم وجدوا الذى	عملوه مكتوباً كما عملوه
ما زادت الحفظاء فى أعمالهم	مثقال خردلة ولا نقصوه
يا معشر الإخوان إن سبيلكم	كسبيلهم فى كل ما سلكوه
ولكم نصيب فى البلى كنصيبهم	وكأنه قد حل فانتظروه
ومحجب قد غرهم بحجابه	لما أتاه الموت ما حجبوه

لكنهم سجوه فوق سريره وتكلفوه بأربع حملوه
ساروا به حتى إلى دار البلى بيت له تحت الثرى قبروه
حتى إذا ما غيبته أكفهم بين الجنادل فى الثرى تركوه
وتفرقوا عن بابه وتبدلوا بابا سواه وغيروا ونسوه

وكان خليل العصيرى ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له مستعداً، وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملاً، وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفاً فعلام ترجعون وما عسيتم تنظرون الموت أول وارد عليكم من الله تعالى بخير أو بشر فيها. . إخوتاه سيروا إلى ربكم سيراً جميلاً.

قال محمد بن السماك ـ رحمه الله: وصف لى عابد فسرت إليه لأزوره فوجدته فى بيت وقد حفر فيه قبره وهو جالس على شفيره يصلح خوصاً بين يديه فسلمت عليه فرد علىَّ السلام رداً ضعيفاً ثم قال: من أنت؟ فقلت: أنا محمد بن السماك. قال: الواعظ؟ قلت: نعم. فالقى الخوص من يده. وقال: يا ابن السماك إن الواعظ من المستمع بمنزلة الطبيب من العليل فأعرض عَلَىَّ شيئاً من وعظك.

فقلت: يا شيخ أما تخشى أن تكون خطيئتك لا تنسى وذنبك لا يمحى؟ ثم كم بين يديك من شدة وأهوال وكربة وأنكال فأولها ظلمة القبر، ثم ظلمة النشر، ثم الحشر، ثم ظلمة الصراط ثم وزن الأعمال ثم قطع الآمال ثم سطوة الملك المتعال، فبكى بكاءً شديداً.

وقال لى: يا ابن السماك وما بعد ذلك.

قلت: حمل الأوزار والورود على النار وأعظم من ذلك توبيخ الملك الجبار.

فصاح صيحة عظيمة ثم سقط فى قبره فخرجت إليه عجوز كبيرة وجعلت تمسح التراب عن وجهه وتقول: بأبى وأمى هاتان العينان طالما سهرتا فى طاعة الله وطالما بكتا من خشية الله، ثم حركناه فإذا به قد مات.

ورحم الله القائل:

أتعمى عن الدنيا وأنت بصير	وتجهل ما فيها وأنت خبير؟
وتصبح تبنيها كأنك خالد	لقد كان فيما قد بلوت نذير
متى أبصرت عيناك أمر ولم يكن	يخبرنا أن البقاء يسير
فدونك فاصنع كما أنت صانع	فإن بيوت المتقين قبور

يقول ابن الجوزى ـ رحمه الله تعالى ـ: ففكروا رحمكم الله فى أحبابكم وجيرانكم وأصحابكم وإخوانكم وآبائكم وأمهاتكم وأخواتكم والأباعد والأقارب، وذوى المودة والأجانب، وقد استوحشت من أنفسكم الديار، وانقطعت بينهم الآثار، وبقوا رهنا فى الأجداث بالأوزار. قد هجرهم الحبيب وسلا عنهم القريب، وقد ضيقت عليهم اللحود، وسالت عيونهم على الخدود، وتمزقت عنهم الجلود، ودبت فى أجسادهم الهوام والدود، وبقيت أرواحهم فى البرزخ إلى اليوم الهائل الموعود. لم ينفعهم ما جمعوا، ولا حصنهم ما بنوا وشيدوا، ولا منعهم كل ما صنعوا صارت القبور لهم قراراً وفرت الأحباب عنهم فراراً، فانتبهوا يا معشر الإخوان، واجتهدوا فى طاعة الرحمن من قبل مفارقة الأحباب والأوطان[1].

ورحم الله القائل:

كم تناسى القبور يا مغرور	حفر ما بها لعاص مسرور
وتعامى عنها وأنت تراها	ورحاها على الأنام تدور
فاتق الله حق تقواه واحذر	كل هول يخافه المقبور
ودع اللهو والبطالة واعمل	للتى عاجلا إليها تصير
تلك دار البقاء فكل تقى	فى رُباها مكرم محبور
ولعاص مُصِرٍّ إن لم تنله	رحمة الله مبعد مثبور

وأسوق إليك هذا المثال، وإن كان بعيد المجال، فى الجنة والنار، فهل من رجال:

قال عبد الله بن وأسان ـ رحمه الله تعالى[2]: عبرت يوماً أزقة البصرة

(١) انظر «بستان الواعظين» ورياض السامعين» [ص/٢٠٤، ٢٠٥] تحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبى ـ حفظه الله والمؤلف.

(٢) انظر «الروض» [ص/١١٨] وكذا «الجامع المتين فى شتى فروع الدين» تاليف الشيخ/ محمد عبد الملك الزغبى ـ حفظه الله والمؤلف.

فوجدت صبياً يبكى وينتحب فقلت له يا: ولدى ما الذى يبكيك؟ فقال: خوفاً من النار!!. فقلت: يا ولدى إنك مازلت صغير وتخاف من النار!! فقال: يا عم نظرت إلى أمى وهى توقد النار، فرأيتها تقدم الحطب الصغار قبل الكبار، فقلت لها: يا أماه لم تقدمين الصغار قبل الكبار، فقالت: يا ولدى ما تشتعل الكبار إلا بالصغار، فهذا الذى أبكانى وهيج لوعتى وأحزانى، فقلت له: يا ولدى هل لك فى صحبتى فتتعلم ما ينفعك فى دنياك وآخرتك؟ فقال الغلام: على شرط: إن جعت تطعمنى وإن عطشت تسقينى وإن ذللت تغفر لى. وإن مت تُحيينى، فقلت له: يا ولدى لا أقدر على ذلك كله، فقال: يا عم دعنى فإنى على باب من يقدر على ذلك كله.

ويقول عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه: ليس بغافل ولا ذاكر للموت من عد غداً من أجله، فرب مستقبل يوما لا يستكمله، ومؤمل غداً لا يبلغه، لو أبصرتم الأجل ومروره لأبغضتم الأمل وغروره. فيا عجباً للفرع ذهبت أصولها، وللنجوم قد آن أفولها.

روى أن سعيد بن المسيب: دخل مسجد الرسول ﷺ فجعل يلتفت فى أركان المسجد يتفكر فيمن أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ ثم بكى وجعل يقول:

ألا ذهب الحملة وأسلمونى   فوا أسفا على فقد الحماة

ألا ذهب الحماة وأسلمونى   فوا أسفا على فقد الحماة

وقال عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ: يا أيها الناس ما الجزع مما لابد منه، وما الطمع فيما لا يرجى فيه، وما الحيلة فيما لا يزول، وإنما الشىء من أصله، وقد مضت من قبلنا أصول نحن فروعها، فما بقاء الفروع بعد الأصول، فكل ما هو آت قريب، أيها الناس إنما أنتم فى الدنيا أغراض، تتصل فيكم المنايا ونهب للمصائب، ومعدن للنوائب، مع كل أكلة غصص، ومع كل شربة شرق، ألا تنالون نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يعمر فيكم معمر لا يهدم آخر من أجله، وأنتم أعوان الحتوف على أنفسكم، فأين المهرب مما هو كائن؟!!

فالله الله يا إخوانى لا تركنوا إلى طول الأمل، ولا تنسوا اقتراب الأجل، فالموت لابد منه.

ورحم الله القائل:

آه على سفرة بغير إياب ... آه من حسرة على الأحباب

آه من سكرة بغير شراب ... آه من ركبة بغير ركاب

آه من مضجعى وحيداً وفريداً ... بين فرش من الحصى والتراب

وقال آخر:

إنما الدنيـــا بـــــلاغ ... ليس فــــى الدنيا ثبوت

إنما الدنيـــا كــــــبيت ... نسجـــته العنكـــــبوت

ليس للطالـــب فيـــها ... كل يـــوم غـــير قـــوت

كل مـــا كـــان عليها ... عـــن قليـــل سيمـــوت

وقالت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها: رأيت النبى ﷺ وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه، ثم يقول: «**اللهم أعنى على منكرات الموت ـ أو سكرات الموت**»[1].

والذى يوضح مقدار هذا العناء قوله عندما سُئل عن أى الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل...»[2].

وفى الخبر الذى نقله القرطبى ـ رحمه الله تعالى: إذا دنت منية المؤمن نزل عليه أربعة من الملائكة: ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى وملك يجذبها من قدمه اليسرى، والنفس تنسل انسلال القطرة من السقاء وهم يجذبونها من أطراف

---

(١) الحديث، ضعيف: أخرجه الترمذى فى السنن [٣/٣٠٨] كتاب الجنائز [٨] باب ما جاء فى التشديد الموت [٨] «ح» [٩٧٨] وقال: هذا حديث حسن غريب. وابن ماجه فى السنن [١/٥١٩] كتاب [٦] باب ما جاء فى ذكر مرض الرسول ﷺ [٦٤] «ح» [١٦٢٣]. وكذلك النسائى فى «عمل والليلة» [ص/٥٨٨، ٥٨٩] «ح» [١٠٩٣]. وضعفه الشيخ الألبانى. وراجع ضعيف الجامع [١١٧٦] والمشكاة برقم [١٥٦٤] وله بديل صحيح وقد نقلناه.

(٢) الحديث، حسن: الترمذى فى السنن [٤/٦٠١، ٦٠٢] كتاب الزهد [٣٧] باب ما جاء فى الصبر البلاء [٥٦] «ح» [٢٣٩٨] وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه فى السنن [٢/ ١٣٣٤] كتاب الفتن [٣٦] «ح» [٤٠٢٣] والهيثمى فى «موارد الظمآن» [ص/ ١٨٠] «ح» [٦٩٨] [٧٠٠] والدارمى «السنن» [٢/ ٣٢٠].

البنان ورؤوس الأصابع. والكافر تنسل روحه كالسفود من الصوف المبتل[١].

ويقول أيضاً ـ رحمه الله: اعلم أن الموت هو الخطب الأفظع والأمر الأشنع والكأس التى طعمها أكره وأبشع، وأنه الحارث الأهذم للذات والأقطع للراحات، والأجلب للكريهات، فإن أمراً يقطع أوصالك، ويفرق أعضاءك، ويهدم أركانك، لهو الأمر العظيم، والخطب الجسيم وإن يومه لهو اليوم العظيم[٢].

وعن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه قال: إذا بقى على المؤمن من ذنوبه شىء لم يبلغه بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة، وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفاً فى الدنيا، هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فى الدنيا ثم يصير إلى النار.

رحم الله القائل:

إليك من مكرك يا سيدى	كل البرايا دائما يحذرون
فكم عيوب وذنوب مضت	ونحن عنها سيدى غافلون
نضيع العمر بكسب الخطا	فنحن فى أوقاتنا لاعبون
نشاهد الموتى ولا نعتبر	ولا انتبهنا لريب المنون
بل غفلة تعى أبصارنا	وشقوة خابت لديها الظنون
فنحن يا رب الورى كلنا	إليك من زلاتنا هاربون
لكننا نسألك رب الورى	عَفْواً وصفحا كى تقر العيون

موت أبى ذر

وروى عن إمرأة أبى ذر ـ رضى الله عنها قالت[٣]: لما حضر أبا ذر الوفاةُ بكيت، قال: ما يبكيك؟ قلت: تموت فى فلاة من الأرض وليس لى ثوب أكفنك

(١ـ ٢) انظر «التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة» [ص/٢٨ـ ٢٩ـ ٣٠] مع تخريجها بالاستفاضة، تحقيق الشيخ أحمد عبد الملك الزغبى.

(٣) أخرجه أحمد فى «المسند» [٥/ ١٥٥] والبيهقى فى «دلائل النبوة» [٦/ ٤٠١، ٤٠٢] والحاكم فى «المستدرك» [٥٤٧٠] وابن سعد فى «الطبقات» [٤/ ٢٣٣] عن إبراهيم بن الأشتر عن أبيه، وأخرجه أبو نعيم فى «الحلية» بنحوه. وراجع «المنتخب» [٥/ ١٥٧].
وراجع كذلك «تنبيه الغافلين [ص/ ٤٤٣ـ ٤٤٥] بتحقيق الشيخ/ محمد عبد الملك الزغبى. ط. دار المنار ـ فياض.

فيه، قال: لا تبكى وأبشرى فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: لنفر كنت أنا فيهم: «ليموتن رجل منكم فى فلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين» وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد هلك فى قرية أو جماعة إلا أنا والله ما كذبت ولا كذبت، فأنا ذلك الرجل فأبصرى الطريق.

قالت فقلت قد ذهب الحاج وانقطع الطريق فكنت أقوم على كثيب فأنظر فأرجع إليه فأمرضه، فبينما أنا كذلك إذا بنفر على رحالهم فألحت إليهم بثوبى فأسرعوا إلى فقالوا: يا أمة الله مالك؟ قلت: رجل من المسلمين يموت فكفنوه قالوا: ومن هذا؟ قلت: أبو ذر. قالوا: صاحب رسول الله ﷺ؟ قلت نعم، ففدوه بآبائهم وأمهاتهم فأسرعوا حتى دخلوا عليه، وسلموا فرحب بهم.

وقال: أبشروا فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم: «ليموتن رجل منكم فى فلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين» وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد هلك فى قرية أو جماعة إلا أنا فأنا ذلك الرجل، وأنتم أولئك العصابة ولو كان لى ثوب يسعنى كفناً أو لامرأتى لم أكفن إلا فى ثوب لى أو لأهلى، وإنى أنشدكم بالله لا يكفننى رجل منكم كان أميراً أو بريداً أو عريفاً أو نقيباً، ولم يكن فى القوم إلا قد أصاب ذلك، أو بعض ذلك إلا رجل من الأنصار، فقال يا عم أنا أكفن؛ فإنى لم أصب شيئاً مما ذكرت، أكفنك فى ردائى هذا وفى ثوبين أو فى عباءتين من غزل أمى.

قال: أنت تكفننى، فاشتدت عليه السكرات فمات، فكفنه الأنصارى فى النفر الذين شهدوه وكلهم من أهل الدين فرجعوا مسرورين بما سمعوا منه.

يحكى عن الحسن البصرى ـ رحمه الله تعالى[1]: أنه نظر إلى جنازة قد وضعت فى لحدها، فقال: يا لها من موعظة بليغة لو صادفت قلوباً حية، والله لقد فضح الموت الحياة، ولم يترك فيها لذى نسب فرحاً، ثم أشار إلى إمتداد القبور فبكى.

وقال: هؤلاء أهل محلة قد كفى من جلس إليهم شرهم، وإن ترحم عبد عليهم وصل إليهم ما ترحم به، عباد الله اعلموا أن القبور منزلة بين الدنيا والآخرة فاعملوا لمثل هذا اليوم فإنما هم إخوانكم تقدموا وأنتم فى الأثر.

---

(١) انظر «بستان االواعظين» لابن الجوزى ـ بتحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبى حفظه الله والمؤلف ط. دار المنار.

أيها المتخلف من بعد أخيه أنت الميت من بعده غداً، والباقى بعدك هو الميت فى أثرك، الأول فالأول حتى يتوفوا جميعاً فكأنا بكم قد عمكم الموت واستويتم جميعاً فى سكرته، وحللتم جميعا فى القبور، إلى يوم النشور، فالله الله تفكروا فى طول البلاء فى ظلمات بين أطباق الثرى. وأنشدوا:

أخى ما بال قلبك ليس ينقى ... كأنك لا تظن الموت حقا
أيا ابن الذين فنوا وبادوا ... أما والله ما بادوا وتبقى
وما أحد بزادك منك أحصى ... وما أحد بزادك منك أشقى
وما للتنفس عندك مستقر ... إذا ما استكملت أجلا ورزقاً

اعلم[1] يا أخى أنك للموت ذاهب، ولكأس الموت ذائق، وعن الإخوان مُفَارق، وفى القبر ستكون رَاقِدَ، ولا ينفعك إلا عملك السابق.

ورحم الله القائل:

---

(١) قال بعض العلماء أن المعرفة هى: إدراك الشيء على ما هو عليه، وهى مسبوقة بجهل بخلاف العلم. كذا فى «التعريفات» [ص/ ٢٢١].

وقال زكريا الأنصارى: المعرفة ترادف العلم، وإن تعدت إلى مفعول واحد وهو إلى اثنين وقيل تفارقه بأنه لا يستدعى سبق جهل بخلاف المعرفة، ولهذا يقال: الله عالم ولا يقال: عارف. أنظر «حدود الألفاظ المتداولة فى أصول الفقه والدين».

وقد ورد بالمنع أنه لا يقال ذلك فقد ورد إطلاقها عليه تعالى فى كلام النبى ﷺ وأصحابه وفى اللغة.

وقد ضرب بعض مثل حديث النبى ﷺ عباس: «تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة».

قُلتُ: وهذا الحديث: ضعيف بهذا المتن. رواه العقيلى [٣/ ١٤٣٧] والبيهقى [١٠٧٣] والطبرانى [١١/ ١٢٤٣] والحاكم فى المستدرك [٣/ ٥٤٢] وصححه، وتعقبه الذهبى بقوله: عيسى بن محمد القرشي: ليس بمعتمد. وقال الحافظ بن رجب: ذكره الشيخ رواه عبد بن حميد فى مسنده بإسناده ضعيف عن عطاء عن بن عباس، . . وأصح الطرق كلها طريق حنش الصنعانى التى خرجها الترمذى كذا قاله ابن منده وغيره، وقد روى عن النبى ﷺ أنه وصى ابن عباس بهذه الوصية من حديث على بن أبى طالب وأبى سعيد الخدرى وسهل بن سعد وعبد الله بن جعفر، وفى أسانيدها كلها ضعف. وذكر العقيلى أن أسانيد الحديث كلها لينة، وبعضها أصلح من بعض، وبكل حال فطريق حنش التى خرجها الترمذى حسنه جيده. وراجع «جامع العلوم والحكم» [ص/١٨٨ـ ١٨٩]. وقد وهم الشيخ صالح الفوازن وحسنه فى «شرح الورقان فى أصول الفقه» [ص/١٣ـ ١٤]. ط. دار المسلم. الرياض. والحديث صحيح من رواية الترمذى. وراجع هذا الأمر باستفاضة فى «رياض الصالحين» برقم [٦٢] بتحقيقى ـ مع فضيلة الشيخ محمد عبد الملك الزغبي ـ حفظه الله. ط. دار المنار ـ فياض.

تزود من التقى فإنك لا تدرى ... إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر؟
فكم من فتى أمس وصار ضاحكًا ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى؟
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم ... وقد أدخلت أجسامهم ظلمة القبر؟
وكم من عروس زينوها لزوجها ... وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر؟
وكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من سقيم عاش حينا من الدهر؟
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته ... يوما على آلة حدباء محمول؟
فإذا حملت إلى القبور جنازة ... واعلم بأنك بعدها محمول؟

وقال آخر:

وكن مستعدا لداعى المنون ... فكل الذى هو آت قريب
وقبلك داوى المريض الطبيب[1] ... فعاش المريض ومات الطبيب
يخاف على نفسه من يتوب ... فكيف ترى حال من لا يتوب؟

---

(١) قال بعض العلماء أن المعرفة هى: إدراك الشىء على ما هو عليه، وهى مسبوقة بجهل بخلاف العلم. كذا فى «التعريفات» [ص/ ٢٢١].

وقال زكريا الأنصارى: المعرفة ترادف العلم، وإن تعدت إلى مفعول واحد وهو إلى اثنين وقيل تفارقه بأنه لا يستدعى سبق جهل بخلاف المعرفة، ولهذا يقال: الله عالم ولا يقال: عارف. أنظر «حدود الألفاظ المتداولة فى أصول الفقه والدين».

وقد ورد بالمنع أنه لا يقال ذلك فقد ورد إطلاقها عليه تعالى فى كلام النبى ﷺ وأصحابه وفى اللغة.
وقد ضرب بعض مثل حديث النبى ﷺ عباس: «تعرف إلى الله فى الرخاء يعوفك فى الشدة».
قُلتُ: وهذا الحديث: ضعيف بهذا المتن. رواه العقيلى [٣/ ١٤٣٧] والبيهقى [١٠٧٣] والطبرانى [١١/ ١٢٤٣] والحاكم فى المستدرك [٣/ ٥٤٢] وصححه، وتعقبه الذهبى بقوله: عيسى بن محمد القرشى: ليس بمعتمد. وقال الحافظ بن رجب: ذكره الشيخ رواه عبْد بن حميد فى مسنده بإسناده ضعيف عن عطاء عن بن عباس، . . وأصح الطرق كلها طريق حنش الصنعانى التى خرجها الترمذى كذا قاله ابن منده وغيره، وقد روى عن النبى ﷺ أنه وصى ابن عباس بهذه الوصية من حديث على بن أبى طالب وأبى سعيد الخدرى وسهل بن سعد وعبد الله بن جعفر، وفى أسانيدها كلها ضعف. وذكر العقيلى أن أسانيد الحديث كلها لينة، وبعضها أصلح من بعض، وبكل حال فطريق حنش التى خرجها الترمذى حسنه جيده. وراجع «جامع العلوم والحكم» [ص/ ١٨٨ـ ١٨٩]. وقد وهم الشيخ صالح الفوازن وحسنه فى «شرح الورقان فى أصول الفقه» [ص/ ١٣ـ ١٤]. ط. دار المسلم. الرياض. والحديث صحيح من رواية الترمذى. وراجع هذا الأمر باستفاضة فى «رياض الصالحين» برقم [٦٢] بتحقيقى ـ مع فضيلة الشيخ محمد عبد الملك الزغبى ـ حفظه الله. ط. دار المنار ـ فياض.

قال محمد بن أبى حاتم الوراق سمعت غالب بن جبريل يقول: مرض البخارى أياماً فأرسل إليه أهل سمرقند رسولاً يلتمسون منه الخروج إليهم فأجاب وتهيأ للركوب، ولبس خفيه وتعمم فلما مشى قدر عشرين خطوة أو إلى الدابة ليركبها وأنا آخذ بعضده قال: أرسلونى فقد ضعفت فأرسلناه، فدعا دعوات ثم اضطجع فقضى ثم سال منه عرق كثير، وكان قد قال لنا: كفنونى فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة، قال: ففعلنا فلما أدرجناه فى أكفانه وصلينا عليه ووضعناه فى حفرته فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك ودامت أياماً[1].

وروى الخطيب البغدادى عن عبد الواحد بن آدم الطواويسى قال: رأيت النبى ﷺ فى النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف فى موضع - ذكره - فسلمت عليه فرد السلام. فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟ فقال: أنتظر محمد بن إسماعيل البخارى فلما كان بعد أيام بلغنى موته فنظرنا فإذا هو قد مات فى الساعة التى رأيت فيها النبى ﷺ[2].

*****

(١) ورد هذا الخبر فى «هدى السارى مقدمة فتح البارى» [٥١٨].

(٢) ورد هذا الخبر فى «هدى السارى مقدمة من فتح البارى» [٥١٨] والذهبى فى «سير أعلام النبلاء» [١٢/ ٤٦٨] وتاريخ بغداد [٢/ ٣٤].

ما يجب عمله على الحاضرين أثناء وبعد الاحتضار

أولاً أثناء الاحتضار:

١ـ تلقين المحتضر:

قال االقرطبى ـ رحمه الله[١]: قال علماؤنا تلقين الموتى (فى حالة حياتهم) هذه الكلمة سنة مأثورة عمل بها المسلمون. وذلك ليكون آخر كلامهم لا إله إلا الله فيختم له بالسعادة، وليدخل فى عموم قوله عليه السلام: **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»** أخرجه أبو داود من حديث معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه. وصححه أبو محمد عبد الحق. آهـ.

قُلتُ: يسن علينا أن نلقن المحتضر أى حال حياته لحديث أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال: **«لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»**[٢].

وعن أنس ـ رضى الله عنه أن النبى ﷺ دخل على رجل من بنى النجار يعوده فقال له رسول الله ﷺ: **«يا خال قل لا إله إلا الله»** فقال أو خال أنا أو عم؟ فقال النبى ﷺ: **«لا بل خال»** فقال له: **«قل لا إله إلا الله»** قال: هو خير لى؟ قال: **«نعم»**[٣].

ويقول النووى[٤] ـ رحمه الله تعالى فى شرح حديث تلقين المحتضر: معناه من حضره الموت، والمراد ذكروه لا إله إلا الله لتكون آخر كلامه كما فى الحديث: **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»**[٥] والأمر بهذا التلقين أمر ندب.

---

(١) انظر «التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة» [ص/٣٨، ٣٩] تحقيق أخينا الشيخ أحمد عبد الملك الزغبى ـ تحت الطبع.

(٢) الحديث، صحيح: أخرجه مسلم فى صحيحه [٢/ ٦٣١] كتاب الجنائز [١١] «ح» [١/ ٩١٦] والترمذى فى السنن [٢/ ٢١٣] كتاب الجنائز «ح» [٩٧٨] وقال: حديث غريب حسن صحيح. وأبو داود فى ـ كتاب الجنائز [٢٠] باب [٥] «ح» [٣١١٧].

(٣) الحديث، صحيح: أخرجه أحمد فى المسند [٣/ ١٥٤، ٢٦٨].

(٤) انظر «شرح مسلم» [٢/ ٥٨٠].

(٥) الحديث، صحيح:. أخرجه أحمد فى المسند [٥/ ٢٤٧]. وأبو داود فى المسند [٣/ ٤٨٦] كتاب الجنائز «ح» [٣١١٦] والحاكم فى «المستدرك» [١/ ٣٥١] وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه وأقره الذهبى.

وأجمع العلماء على هذا التلقين، وكرهوا الإكثار عليه والموالاة لئلا يضجر بضيق حاله وشدة كربه فيكره ذلك بقلبه ويتكلم بما لا يليق. أهـ.

وأما الذين يكررون على المحتضر فهذا لا يليق بهذا المقام.

وفى هذا المضمار يقول العلامة ابن قدامة ـ رحمه الله تعالى: ويكون ذلك فى لطف ومداراة ولا يكرر عليه ولا يضجره إلا أن يتكلم بشىء فيعيد تلقينه لتكون لا إله إلا الله آخر كلامه[1].

ويروى عن عبد الله بن شبرمة أنه قال[2]: دخلت مع عامر الشعبى على مريض نعوده فوجدناه لُمَّ به، ورجل يلقنه الشهادة ويقول له: لا إله إلا الله ـ وهو يكثر عليه، فقال الشعبى له: ارفق به، فتكلم المريض وقال: إن تلقنى أو لا تلقنى فإنى لا أدعها ثم قرأ: ﴿وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها﴾.

وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل[3] ـ رحمهما الله تعالى: حضرت وفاة أبى وكنا نقول له: أى شىء كان يبدو لك؟ قال: إن الشيطان قائم بحذائى عاض على أنامله يقول: يا أحمد فتنى وأنا أقول لا بعد لا. حتى أموت.

٢ـ عدم اللغو، وليتكلم بخير، والدعاء له إذا مات:

عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»**[4].

وقالت أم سلمة ـ رضى الله عنها: قال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلم تُصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله به إنا لله وإنَّا إليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلف لى خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها»** فلما مات أبو سلمة ـ رضى الله عنه قلت: أىُّ المسلمين خير من أبى سلمة؟ أول بيتٍ هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إنى قلتها: فأخلف الله لى رسول الله ﷺ[5].

---

(١) انظر «المغنى» [٢/ ٤٥٠].   (٢ـ ٣) انظر التذكرة [ص/ ٢٨ـ ٣٨].

(٤) الحديث، صحيح: أخرجه مسلم فى ـ كتاب الجنائز [١١] باب ما يقال عند المريض. [٣] «ح» [٦/ ٩١٩]، وأبو داود فى ـ كتاب الجنائز [٢٠] باب [١٥] ما يستحب أن يقال «ح» [٣١١٥] والترمذى فى ـ كتاب الجنائز «ح» [٩٧٩] وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) الحديث: صحيح، أخرجه مسلم فى صحيحه [٢/ ٦٣١، ٦٣٢] كتاب الجنائز [١١] باب ما يقال عند المصيبة [٢] «ح» [٣/ ٩١٨]، وأبو داود فى السنن [٣/ ٤٨٨] «ح» [٣١١٩] وابن ماجه فى السنن [١/ ٥١٠] «ح» [١٥٩٨].

ويقول القرطبى ـ رحمه الله تعالى: قال علماؤنا: قوله عليه السلام: «**إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً**» أمر ندب وتعليم بما يقال عند المريض أو الميت، وإخبار بتأمين الملائكة دعاء من هناك، ولهذا استحب العلماء: أن يحضر الميت الصالحون، وأهل الخير حال موته ليذكروه، ويدعوا له ولمن يخلفه ويقولون خيراً فيجتمع دعاؤهم وتأمين الملائكة فينتفع بذلك الميت ومن يصاب به ومن يخلفه(1).

٣ـ الحث على الوصية التى تنفعه فى آخرته:

* عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «ماحق امرئ مسلم له شىء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»(2).

وعن سعيد بن جبير ـ رضى الله عنه قال: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما: يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى بل دمعه الحصى، فقلت يا ابن عباس، وما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: «**ائتونى أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدى**» فتنازعوا وماينبغى عند نبى تنازع، وقالوا ما شأنه أهجر، استفهموه قال: «**دعونى فالذى أنا فيه خير أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد ما كنت أجيزهم**» قال: وسكت عن الثالثة أو قالها فانسيتُها(3).

وعن سعد بن مالك قال: «عادنى رسول الله ﷺ وأنا مريض فقال: «**أوصيت؟**» قلت: نعم قال: «**بكم؟**» قُلتُ: بمالى كُلّه فى سبيل الله، قال: «**فما تركت لولدك؟**» قال: هم أغنياء بخير، فقال: «**أَوْصِ بالعُشر**، قال: فما زلت

(1) انظر «التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة» [ص/٣٨] تحقيق أخينا الشيخ احمد عبد الملك الزغبى ـ حفظه الله، تحت الطبع.

(2) الحديث، صحيح: أخرجه البخارى فى صحيحه [٤١٩/٥] ـ الوصايا ـ «ح» [٣٦١٧]، ومسلم فى صحيحه [١٢٤٩/٣] ـ فى الوصية «ح» [١٦٢٧]، والنسائى فى السنن [٢٣٩/٦] «ح» [٣٦١٧] وابن ماجه [٩٠١/٢] «ح» [٢٦٩٩] والترمذى [٤١/٤، ٤٢] «ح» [٢١٢٥] وقال: حسن صحيح وابن حبان [٦٠٢٤/١٣] والدارقطنى فى «السنن» [٤/ ١٥٠] والطيالسى [١٨٤١] والبيهقى فى «الكبرى» [٦/ ٢٧١] ومالك فى «الموطأ» [١٤٩٢] وأحمد فى المسند [٥١٩٧/٢].

(3) الحديث، صحيح: أخرجه البخارى فى صحيحه [٣١٢/٦] ح [٣١٦٨] ومسلم فى صحيحه [١٢٥٧/٣] ح [١٦٣٧].

أناقصهُ حتى قال: «أوص بالثلث، والثلث كثير»[1].

ولقد حذر الإسلام أنه لا وصية لوارث بالنسبة للأشياء المادية، وأما الوصية فى الدين مثل الحث على تقوى الله وفعل ما أمر به الله، والنهى عن المحظور فى كتاب الله الرب الغفور، أو إصلاح ذات البين. . . إلخ.

ومعى دليلين على هذه المسألة:

الدليل الأول: قوله عليه السلام: **«فلا وصية لوارث...»** من حديث أبى أمامة[2]، ومن رواية ابن عباس بلفظ **«لا وصية لوارث إلا أن يشاء الورثة»**[3] ولها روايات كثيرة وراجعها باستفاضة فى كتاب «الجامع المتين فى شتى فروع الدين» [4] ـ حفظه الله.

الدليل الثانى: عن أنس ـ رضى الله عنه قال: هكذا كانوا يوصون، هذا ما أوصى به فلان بن فلان، أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور، وأوصى من ترك بعده من أهله، أن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم، وأن يطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين، وأوصاهم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب ﴿يابنى

---

(١) الحديث، صحيح: أخرجه البخارى فى ـ كتاب الجنائز ـ [٢٣] باب [٣٧] ومسلم فى ـ كتاب الوصية [٢٥] «ح» [٥]والترمذى فى السنن[٢/ ٢٩٢، ٢٩٣] ـ كتاب الجنائز ـ «ح» [٩٧٧] وقال: حسن صحيح.
وجاء بنحوه من رواية سعد بن أبى وقاص عن أبيه.. أخرجه البخارى فى ـ الإيمان ـ [٥٦] وأطرافه [١٢٩٥] [٢٧٤٢] و [٢٧٤٤] و[٣٩٣٦] و [٤٤٠٩] [٥٣٥٤] [٥٦٥٩] [٥٦٦٨] [٦٧٣٣] ومسلم «ح» [١٦٢٨] وغيرهما.

(٢) الحديث، صحيح: أخرجه الطيالسى فى «المسند» [١٥٤/ «ح» [١١٢٧] وأبو داود [٣/ ٢٩٠، ٢٩١] كتاب الوصايا [١٢] «ح» [٢٨٧٠] والترمذى فى السنن [٤/ ٤٣٢] ـ كتاب الوصايا «ح» [٢١٢٠] وعنده بزيادة فيه، وابن ماجه فى السنن [٢/ ٩٠٥] «ح [٢٧١٣] والطبرانى فى «الكبير» [٨/ ١٥٩، ١٦٠] «ح» [٧٦١٥] والبيهقى [٦/ ٢٦٤] وأحمد فى المسند [٥/ ٢٦٧] بزيادة عنده، وعبد الرزاق فى «المصنف» [٩/ ٤٨، ٤٩] «ح» [١٦٣٠٦].

(٣) أخرجه أبو داود فى «المراسيل» [١٦٨] «ح» [٣١٤] والدارقطنى [٤/ ٩٧، ٩٨] «ح» [٨٩] [٩٤] والبيهقى [٦/ ٢٦٣] وقد أعله البغوى بقوله : منقطع ورد عليه الزيلعى فى «نصب الراية» [٤/ ٤٠٤] وقا: وقد وصله يونس بن راشد، فرواه عن عطاء، عكرمة، عن ابن عباس أ هـ.

(٤) مرجع سابق.

إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ وأوصى إن حدث به حدث من وجعه هذا أن حاجته كذا وكذا[1].

وكذلك كما نقل الدارمى أن محمد بن أبى عمرة أوصى بنيه وأهله ونقلها[2].

وكذلك فعل الربيع بن خيثم حيث فيها: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أوصى به الربيع بن خيثم، وأشهد الله عليه، وكفى بالله شهيدا وجازيا لعباده الصالحين ومثيباً فإنى رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا وبمحمد رسول الله ﷺ نبياً، وإنى آمر نفسى ومن أطاعنى أن نعبد الله فى العابدين ونحمده فى الحامدين..»[3].

٤ ـ بدعة عظيمة:

أحيانا تجد الحاضرين يتلون سورة يس على المحتضر ويتعللون بحديث «اقرءوا على موتاكم يس»[4].

ثانياً: ما يجب فعله بعد خروج الروح:

١ ـ تغميض عينيه [أى تغميض عينى الميت] والدعاء له.

لحديث أم سلمة ـ رضى الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبى

(١، ٢، ٣) انظر «سنن الدارمى» [٢/ ٤٠٤] فقد نقل جملة من هذه الوصايا فمن أراد فيعود إليها حتى يأخذ المثل.

(٤) الحديث: ضعيف، أخرجه أحمد فى «المسند» [٥/ ٢٧] وأبو داود فى السنن [٣/ ٤٨٩] كتاب الجنائز «ح» [٣١٢١] والنسائى فى «عمل اليوم والليلة» ح [١٠٧٤] وابن ماجه فى السنن [١/ ٤٦٦] كتاب الجنائز «ح» [١٤٤٨] والطيالسى فى المسند [١٢٦/ ٩٣١]، وابن حبان، وذكره الهيثمى فى «موارد الظمآن» [ص/ ١٨٤] كتاب الجنائز «ح» [٧٢٠] والحاكم فى المستدرك [١/ ٥٦٥] وقال: أوقفه يحيى بن سعيد وغيره، عن سليمان التيمى، والقول فيه قول ابن المبارك، إذ الزيادة من الثقة مقبولة، وأقره ووافقه الذهبى، والبيهقى فى «الكبرى» [٣/ ٣٨٣] وقال العلامة ابن حجر: وأعله ابن القطان بالاضطراب وبالوقف، وبجهالة حال أبى عثمان وأبيه، ونقل أبو بكر بن العربى عن الدارقطنى أنه قال: هذا حديث ضعيف الإسناد، مجهول المتن، ولا يصح فى الباب حديث. أنظر «تلخيص الحبير» [٢/ ١٠٤] «ح» [٧٣٤].

سلمة، وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: «**إن الروح إذا قبض تبعه البصر**» فضج ناس من أهله فقال: «**لاتدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون**» ثم قال: «اللهم إغفر لأبى سلمة، وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين، واغفر لنا وله يارب العالمين، وافسح له فى قبره، ونور له فيه»(1).

وعن شداد بن أوس ـ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا حضرتم الميت فغمضوا البصر، فإن البصر يتبع الروح، وقولوا خيراً، فإن الملائكة تؤمن على دعاء أهل البيت**»(2).

ويقول الإمام الشافعى رحمه الله تعالى: أول ما يبدأ به من يحضر الميت من أوليائه أن يتولى أرفقهم به إغماض عينيه بأسهل ما يقدر عليه وأن يشد تحت لحييه عصابة عريضة وتربط من فوق رأسه كيلا يسترخى لحيه الأسفل فينفتح فوه ثم يجسو بعد الموت ولا ينطبق ويرد يديه حتى يلصقهما بعضديه ثم يبسطهما ثم يردهما ثم يبسطهما مرات ليبقى لينهما فلا يجسو وهما إذا لينا عند خروج الروح يبقى لينهما إلى وقت دفنه.. ويلين كذلك أصابعه ويرده رجليه من باطن حتى يلصقهما ببطون فخذيه كما وصفت فيما يصنع فى يديه ويضع على بطنه شيئاً من طين أو لبنة أو حديدة سيف أو غيره فإن بعض أهل التجربة يزعمون أن ذلك يمنع بطنه أن تربو(3).

٢ ـ تسجية الميت [أى أن يغطوه بثوب يستر جميع بدنه]:

لحديث عائشة ـ رضى الله عنها قالت: حين توفى رسول الله ﷺ سجى ببرد

---

(1) الحديث، صحيح: أخرجه مسلم فى صحيحه [٢/ ٦٣٤] كتاب الجنائز [١١] «ح» [٧/ ٩٢٠] وابن ماجه فى السنن [١/ ٤٦٧] «ح» [١٤٥٤] والبغوى فى شرح السنة» [٥/ ٣٠] «ح» [١٤٦٨] وأبو داود [٣/ ٤٨٧] «ح» [٣١١٨].

(2) الحديث، حسن: أخرجه أحمد فى «المسند» [٤/ ١٢٥] وابن ماجه فى السنن [١/ ٤٦٧] «ح» [١٤٥٥] والحاكم فى «المستدرك» [١/ ٣٥٢] وقال: صحيح الإسناد ووافقه وأقره الذهبى.

ولكن الحديث فيه: قزعة بن سويد، قال أحمد: مضطرب... ولكن للحديث شاهد، وهو حديث أم سلمة السابق وحسنه الشيخ الألبان .. وراجع الصحيحة برقم [١٠٩٢].

(3) انظر «الأم» [١/ ٢٤٨] للإمام الشافعى ـ رحمه الله.

حبرة[1].

وبرد حبرة: القماش الموشى. المخطط وسُجِّى: غُطِّىَ.

وعن عائشة ـ رضى الله عنها قالت: دخل أبو بكر على النبى ﷺ : فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ثم بكى فقال بأبى أنت وأمى يانبى الله، لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التى كتبت عليك فقدمتها» وفى رواية أنه كان مغطى ببرد حبرة»[2].

وهذا فى غير من مات محرماً، فأما المحرم، فإنه لا يغطى وجهه لحديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما قال: بينما رجل واقف بعرفة، إذ وقع عن راحلته فوقصته، أو قال: فأقعصته، فقال النبى ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه فى ثوبين» ـ وفى رواية «فى ثوبيه ـ ولا تحنطوه» وفى رواية ـ «ولاتطيبوه ولا تخمروا رأسه [ولا وجهه] فإنه يبعث يوم القيامة مُلبياً»[3].

٣ ـ الصبر وكراهة النواح والعويل ولطم الخدود وشق الجيوب وغيرها:

عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ على امرأة عند قبر وهى تبكى، فقال لها رسول الله ﷺ: «اتقى الله واصبرى» فقالت: إليك عنى، فإنك لم تصب بمصيبتى ولم تعرفه، قال: فقيل لها: إنه رسول الله ﷺ قال: فأخذها مثل الموت، قال: فأتت الرسول ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: يارسول الله لم أعرفك فقال عليه الصلاة والسلام: «الصبر عند الصدمة

---

(١) الحديث، صحيح: أخرجه البخارى فى صحيحه [٣/ ١١٣] كتاب الجنائز [٢٣] باب الدخول على الميت بعد الموت [٣] «ح» [١٢٤١]و [١٢٤٢]، ومسلم فى صحيحه [٢/ ٦٥١] كتاب الجنائز [١١] باب تسجية الميت [١٤] «ح» [٤٨/ ٩٤٢] وأبو داود فى السنن [٣/ ٤٨٩] «ح» [٣١٢٠].

(٢) الحديث، صحيح: أخرجه البخارى فى صحيحه [٣/ ١١٣] كتاب الجنائز [٢٣] «ح» [١٢٤١] [١٢٤٢] وأحمد فى المسند [١/ ٣٣٤، ٣٦٧] و [٦/ ١١٧] والنسائى السنن ـ كتاب الجنائز [٤/ ١١].

(٣) الحديث، صحيح: أخرجه البخارى فى صحيحه [٣/ ١٣٧] كتاب الجنائز [٢٣] باب [٢١] «ح» [١٢٦٧]، ومسلم فى صحيحه [٢/ ٨٦٥] كتاب الحج [١٥] باب [١٤] «ح» [٩٣/ ١٢٠٦] والبيهقى [٣/ ٣٩٠، ٣٩٣] وأبو نعيم فى المستخرج [ق ١٣٩، ١٤٠] وانظر «صحيح أهوال القبور » للشيخ محمد عبد الملك الزغبى.

الأولى»(١).

ويقول الله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾.

وعن مسروق عن عبد الله عن النبى ﷺ قال: «ليس منَّا من شق الجيوب وضرب الخدود ودعا بدعوة الجاهلية»(٢).

ويقول ﷺ «من نيح عليه عُذِّب بمانيح عليه»(٣).

٤ ـ الإسراع بتجهيزه وإخراجه إذا بان موته:

لحديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أسرعوا بالجنازة، فإن تكُ صالحة فخيرٌ تقدمونها إليه، وإن تكُ سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم»(٤).

وأن يدفنوه فى البلد الذى مات فيه ولا ينقلوه إلى غيره، لأنه ينافى الإسراع المأمور به فى الحديث، ونحوه حديث جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما قال: لما كان يوم أحد، حمل القتلى ليدفنوا بالبقيع، فنادى منادى رسول الله ﷺ: ان رسول الله ﷺ يأمركم أن تدفنوا القتلى فى مضاجعهم بعد ما حملت أمى وأبى

---

(١) الحديث، صحيح: أخرجه البخارى فى صحيحه [٣/١٧٧] «ح» [١٢٨٣] ومسلم فى صحيحة [٢/٦٣٧] ـ كتاب الجنائز «ح» [٦٢٦] وأبو داود [٣/٤٩١] «ح» [٣١٢٤] والنسائى بنحوه [٤/٢٢] والترمذى دون القصة وبلفظ «الصبر فى الصدمة الأولى» [٢/٢٩٧] «ح» [٩٨٩] وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وعند الترمذى بلفظ الحديث أيضاً برقم [٩٩٠] وقال: حسن صحيح.

(٢) الحديث، صحيح: أخرجه البخارى فى صحيحه ـ كتاب الجنائز [٢٣] «ح» [٦٨٨]، ومسلم فى ـ كتاب الإيمان [١] «ح» [١٦٥] والترمذى [٢/٣٠٣] «ح» [١٠٠١] وقال: حسن صحيح:

(٣) الحديث، صحيح: أخرجه البخارى ـ كتاب الجنائز [٢٣] باب [٣٤] «ح» [٦٨٧]، ومسلم فى ـ كتاب الجنائز [١١] «ح» [٢٨] والترمذى [٢/٣٠٣، ٣٠٤] «ح» [١٠٠٢].

(٤) الحديث، صحيح: أخرجه البخارى فى صحيحه [٣/١٨٢، ١٨٣] كتاب الجنائز [٢٣] باب السرعة بالجنازة .. [٥١] «ح» [١٣١٥] ومسلم فى صحيحه [٢/٦٥١، ٦٥٢] كتاب الجنائز ح١١] باب [١٦] «ح» [٥٠/ ٩٤٤] والترمذى فى السنن [٢/٣١٠] ـ كتاب الجنائز: باب [٣٠] «ح» [١٠١٧] وقال: حسن صحيح.

وخالى عديلين [وفى رواية عادلتهما] على ناضح ـ لندفنهم فى البقيع ـ فردوا وفى رواية قال: فرجعناهما مع القتلى حيث قتلت»[1].

وأما حديث « **ثلاث لا تؤخروهن: الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت، والأيم إذا وجدت كفؤا»** [2] فإنه ضعيف ولولا ذاك لاستشهدتُ به.

ولابد من التيقن أنه قد مات وفى ذلك يقول الإمام الشافعى: وأُحب إذا مات الميت أن لا يُعجل أهله غسله لأنه قد يغشى عليه فيخيل إليهم أنه قد مات حتى يروا علامات الموت المعروفة فيه وهو أن تسترخى قدماه ولا تنتصبان وأن تنفرج زندا يديه والعلامات التى يعرفون بها الموت فإذاراًوها عجلوا غسله ودفنه فإن تعجيله تأدية الحق إليه، ولا ينتظر بدفن الميت غائب من كان غائب[3].

ونقل النووى قول الإمام الشافعى: فأما إذا مات مصعوقاً أو غريقاً أو حريقاً أو خاف من حرب أو سبع أو تردى من فوق الجبل أو فى بئر فمات فإنه لا يبادر به حتى يتحقق موته، قال الشافعى: فيترك اليوم واليومين والثلاثة حتى يخشى فساده لئلا يكون مغمى عليه أو انطبق حلقه أو غلب المرار عليه[4].

٥ ـ قضاء الدين عنه:

على الحاضرين أن يبادروا لقضاء دينه من ماله، ولو أتى على ما له كله، فإن لم يكن له مال أو أن ماله لا يكفى فعلى الدولة أن تؤدى عنه وإن كان جهد فى قضائه، فإن لم تفعل وتطوع بذلك بعضهم جاز ذلك والله أعلم.

---

(١) الحديث، صحيح: أخرجه أحمد [٥/١٤٣٠٩] وأبو داود فى السنن [٣/ ٥١٤] ـ الجنائز ـ«ح» [٣١٦٥] والنسائى فى السنن [٤/ ٧٩] «ح» [٢٠٠٦] وطرفه [٢٠٠٤] وابن ماجه ـ فى الجنائز ـ [١٥١٦] والترمذى فى السنن [٥/ ٢٧٩] «ح» [١٧١٧] وقال: حسن صحيح.
قلت: وهو ورجاله ثقات إلا نُبيح العنزى فهو مقبول ـ كما فى التقريب [ص/ ٥٥٩] والبيهقى [٤/ ٥٧] وابن حبان [١٩٦].

(٢) الحديث، ضعيف: أخرجه أحمد فى المسند [١/ ١٠٥]، والترمذى فى السنن [١/ ٣٢٠] كتاب الصلاة [٢] باب ما جاء فى الوقت الأول من الفضل [١٢٧] «ح» [١٧١] وقال: هذا حديث غريب وما أرى إسناده بمتصل وضعفه الشيخ الألبانى وراجع ضعيف الجامع برقم [٢٥٦٣] والمشكاة برقم [٦٠٥].

(٣) انظر «الأم» [١/ ٢٤٣] للشافعى ـ رحمه الله تعالى.

عن سعد بن الأطوال ـ رضى الله عنه: أن أخاه مات وترك ثلاثمائة درهم وترك عيالاً، قال: فأردت أن أنفقها على عياله، قال: فقال النبى ﷺ: «**إن أخاك محبوس بدينه [فاذهب] فاقض عنه**» [فذهبت فقضيت عنه، ثم جئت] قلت: يارسول الله، قد قضيت عنه إلا دينارين ادعتهما امرأة وليست لها بينة، قال: «**أعطها فإنها محقة**» وفى رواية: «**صادقة**»(١).

وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما قال: أن النبى ﷺ قال: «**القتل فى سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدين**»(٢) وعن جابر بن عبد الله قال: مات رجل، فغسلناه وكفناه وحنطناه، ووضعناه لرسول الله ﷺ حيث توضع الجنائز، عند مقام جبريل، ثم آذنا رسول الله ﷺ بالصلاة عليه، فجاء معنا فتخطى خطى، ثم قال: «**لعل على صاحبكم ديناً؟**» قالوا: نعم ديناران فتخلف، قال: «**صلوا على صاحبكم**»، فقال له رجل منا يقال له أبو قتادة: يارسول الله هما عَلَىَّ، فجعل الرسول ﷺ يقول: «**هما عليك وفى مالك، والميت منهما برىء؟**» قال: نعم، فصلى عليه فجعل رسول الله ﷺ إذا لقى أبا قتادة يقول: وفى رواية ثم لقيه فى الغد فقال: «**ما صنعت الديناران؟**» قال: يارسول الله إنما مات أمس حتى كان آخر ذلك. وفى الرواية الأخرى: ثم لقيه من الغد فقال: «**ما فعل الديناران؟**» قال: قد قضيتهما يارسول الله، قال: «**الآن حين بردت عليه جلده**»(٣).

---

(١) الحديث، صحيح: أخرجه ابن ماجه [٢/ ٨٢] وأحمد فى المسند [٤/ ١٣٦]و [٥/ ٧] والبيهقى [١٠/ ١٤٢] وصححه الشيخ الألبانى وراجع أحكام الجنائز [ص/ ١٤، ١٥].

(٢) الحديث، صحيح: أخرجه مسلم فى صحيحه [٣/ ١٥٠٢]كتاب الإمارة «ح» [١٨٨٦] والترمذى فى السنن [٣/ ٢٧٣، ٢٧٤] ـ كتاب الجهاد «ح» [١٧١٨] وقال: حديث حسن صحيح، والنسائى فى السنن [٦/ ٣٤]«ح» [٣١٥٦] وطرفه فى [٣١٥٧] وعند ابن ماجه بنحوه فى السنن [٢/ ٩٢٨] «ح» [٢٧٧٨] وأحمد فى المسند [٨/ ٢٢٦٤٨] والدارمى فى «مسنده» [٢/ ٢٠٧] ومالك فى «الموطأ» ـ الجهاد [١٠٠٣] وابن حبان فى صحيحه [٤٦٥٤].

(٣) الحديث، صحيح: أخرجه الطيالسى [١٦٧٣] والبيهقى [٦/ ٧٤، ٧٥] وأحمد فى «المسند» [٣/ ٣٣٠] والحاكم فى «المستدرك» [٢/ ٥٨] وقال: صحيح الإسناد ووافقه وأقره الذهبى وحسنه الهيثمى كما فى «المجمع» [٣/ ٣٩] وصححه الألبانى. وراجع أحكام الجنائز [ص/ ١٧] وانظر: صحيح أهوال القبور» [ص/ ٥٧] للشيخ محمدعبد الملك الزغبى.

وعن سمرة بن جندب[١]: أن النبى ﷺ صلى على جنازة [وفى رواية صلى الصبح] فلما انصرف قال: «أهاهنا من أهل فلان أحد؟» فسكت القوم، وكان إذا ابتدأهم شىء سكتوا، فقال ذلك مراراً [ثلاثاً لايجيبه أحد] فقال رجل: هو ذا قال: فقام رجل يجر إزاره من مؤخر الناس [فقال النبى ﷺ: «مامنعك فى المرتين الأولين أن تكون أجبتنى؟ أما إنى لم أُنَوِّهْ باسمك إلا لخير، وإن فلاناً ـ لرجل منهم ـ مأسور بدينه [عن الجنة فإن شئتم فأفدوه، وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب الله» فلو رأيت أهله ومن يتحرون أمره قاموا فقضوا عنه [حتى ما أحد يطلبه بشىء].

وعن أبى هريرة ـ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «نفس المؤمن معلقة بدينه، حتى يُقضى عنه»[٢].

٦ ـ قضاء ما عليه لله عز وجل:

عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما، أن امرأة جاءت إلى النبى ﷺ فقالت: إن أمى نذرت أن تحج فماتت قبل أن تحج، أفأحج عنها؟ قال: «نعم، حجى عنها، أرأيت لو كان علي أمك دين أكنت قاضيته؟» قالت: نعم. قال: «فاقضوا الذى له، فإن الله أحق بالوفاء»[٣].

---

(١) الحديث، صحيح: اخرجه ابو داود [٢/ ٨٤] والنسائى [٢/ ٢٣٣] والبيهقى [٦/ ٤/ ٧٦] والحاكم [٢/ ٢٥، ٢٦] والطيالسى [٨٩١] و [٨٩٢] وأحمد فى المسند [٥/ ١١، ١٣، ٢٠] وصححه الألبانى وراجع الجنائز [ص/ ١٧].

(٢) الحديث، حسن: وله شواهد تصحح متنه، أخرجه أحمد فى المسند[٢/ ٤٤٠، ٤٧٥، ٥٠٨] والدارمى فى السنن [٢/ ٢٦٢] والترمذى فى السنن [٣/ ٢٨٩] كتاب الجنائز [٨] «ح» [١٠٧٨] و[١٠٧٩] وابن ماجه فى السنن [٢/ ٨٠٦] «ح» [٢٤١٣] والحاكم فى المستدرك [٢/ ٢٦، ٢٧] وقال: صحيح على شرط الشيخين وأقره ووافقه الذهبى.
قلتُ: رجاله ثقات إلا عمر بن أبى سلمة وهو: صدوق يخطئ.. أنظر «التحفة» [٦١٠ / ٤٦١ ـ ٤٦٩].

(٣) الحديث، صحيح: أخرجه البخارى فى صحيحه [١٣/ ٣٠٩] ـ كتاب الاعتصام ـ «ح» [٧٣١٥]، ومسلم فى صحيحه [٢/ ٨٠٥] «ح» [١١٤٩] وأحمد فى «المسند» [١/ ٢٣٩، ٢٧٩، ٣٤٥] والنسائى [٥/ ١١٦] والترمذى [٢/ ٦٧٨] كتاب الحج ـ «ح» [٩٣٤] والدارمى [٢/ ٢٤].

وعن عائشة ـ رضى الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وعليه صيام، صام عنه وليه»[1].

وقال الثورى وابن المبارك والشافعى وأحمد وإسحاق: يجوز أن يُحج عن الميت[2].

وقال مالك: إذا أوْصى أن يَحُجَّ عنهُ حج عنه[3].

وقد رخص بعضهم أن يحُجَّ عن الحى إذا كان كبيراً أو بحال لا يقدر أن يحج وهو قول ابن المبارك والشافعى[4].

وعن ابن عباس قال: جاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت: إن أختى ماتت وعليها صوم شهرين مُتتابعين؟ قال: «أرأيت لو كان على أختك دين أكنت تقضينه؟» قالت: نعم، قال: «فحق الله أحق»[5].

قال بعض أهل العلم يُصام عن الميت وبه قال أحمد وإسحاق قالا: إذا كان على الميت نذر صيامٍ يصومُ عنه، وإذا كان عليه قضاء رمضان أطعم عنه[6].

وقال مالك وسفيان والشافعى: لا يصوم أحد عن أحد[7].

هذا والله أسأل أن ينفع به ـ وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله فى ميزان حسناتى يوم القيامة

المؤلف الشيخ

محمود عبد الملك الزغبى

المنصورة

---

(1) الحديث، صحيح: أخرجه البخارى فى صحيحه [4/ 192] ـ كتاب الصوم [30] «ح» [1952]، ومسلم فى صحيحه [2/ 803] كتاب الصيام [13] باب قضاء الصيام عن الميت [27] «ح» [153/ 1447] وغيرهما.

(2، 3، 4) انظر سنن الترمذى [2/ 271، 272].

(5) الحديث، صحيح: أخرجه البخارى فى ـ كتاب الصوم [30] «ح» [995] ومسلم فى كتاب الصيام [13] «ح» [154] [156] والترمذى [2/ 171] كتاب الصوم [6] «ح» [716] وقال: حسن صحيح، قلت: وهذا الحديث دليل على أن منْ مات وعليه صوم صام عنه وليه. ويقول الحسن: من مات وعليه صوم، إن صام عنه ثلاثون رجلا يوماً واحداً جاز. أنظر البخارى ـ فتح ـ [4/ 226].

(6، 7) انظر سنن الترمذى [2/ 172، 173].

المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى.

٣ـ صحيح مسلم بشرح النووى.

٤ـ سنن النسائى.

٥ـ سنن الترمذى.

٦ـ سنن أبى داود.

٧ـ سنن ابن ماجه.

٨ـ صحيح ابن حبان.

٩ـ مسند أحمد.

١٠ـ سنن الدارمى.

١١ـ المراسيل لأبى داود.

١٢ـ صحيح الجامع الصغير للألبانى.

١٣ـ ضعيف الجامع الصغير للألبانى.

١٤ـ السلسلة الصحيحة للألبانى.

١٥ـ السلسلة الضعيفة للألبانى.

١٦ـ كشف الخفا للعجلونى.

١٧ـ إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى تحقيق الزغبى.

١٨ـ التذكرة للقرطبى بتحقيق/ أحمد الزغبى ـ تحت الطبع.

١٩ـ التبصرة لابن الجوزى.

٢٠ـ عدة الصابرين لابن القيم بتحقيق الزغبى.

٢١ـ بستان الواعظين لابن الجوزى بتحقيق المؤلف.

٢٢ـ التوابين لابن قدامة بتحقيق المؤلف.

الفهرس